


زهرة المدائن

شعر: الأخوين رحباني

لأجلك يا مدينة الصلاة أصلي

لأجلك يا بهية المساكن يا زهرة المدائن

يا قدس يا مدينة الصلاة أصلي

عيوننا إليك ترحل كل يوم

تدور في أروقة المعابد

تعانق الكنائس القديمة

وتمسح الحزن عن المساجد

يا ليلة الإسراء

يا درب من مروا إلى السماء

عيوننا إليك ترحل كل يوم

وإنني أصلي

الطفل في المغارة وأمه مريم وجهان يبكيان

لأجل من تشردوا

لأجل أطفال بلا منازل

لأجل من دافع واستشهد في المداخل

واستشهد السلام في وطن السلام

وسقط العدل على المدائن





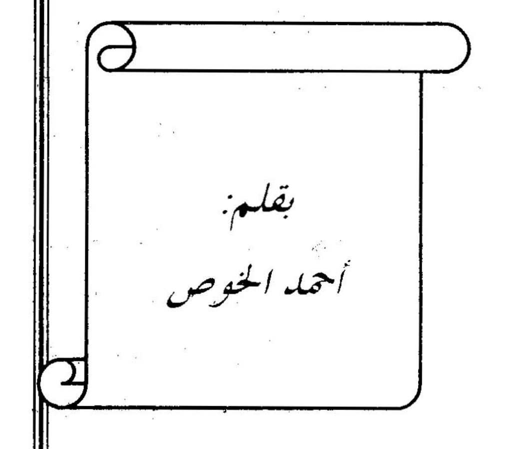


حين هوت مدينة القدس
تراجع الحب وفي قلوب الدنيا استوطنت الحرب
الطفل في المغارة وأمه مريم وجهان يبكيان
وإنني أصلي
الغضب الساطع آتٍ وأنا كلي إيمان
الغضب الساطع آتٍ
سأمر على الأحزان
من كل طريقٍ آتٍ
بجياد الرهبة آتٍ
وكَوَجْهِ الله الغامر
غامر غامر غامر
لن يقفل باب مدينتنا فأنا ذاهبةٌ لأصلي
سأدق على الأبواب
وسأفتحها الأبواب
وستغمرُ يا نهر الأردن
وجهي بمياه قدسية
وستمحو يا نهر الأردن
آثار القدم الهمجية
وسيهزم وجه القوة
البيت لنا والقدس لنا
وبأيدينا سنعيد بهاء القدس
وبأيدينا للقدس سلام
آتٍ.




يا قدس..

يا مدينة الأنبياء


بقلم:
أحمد الخوص

قال أديب إسحاق:

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

وأنا أقول:

أسر امرئ في دولة جريمة لا تغتفر
وقصف شعب ثائرٍ مسألة فيها نظر

في هذه الظروف العصيبة التي تمرّ بها أمتنا العربية والعالم أجمع من أجل قضية فلسطين عامة والقدس خاصة، حيث التطرف العالمي الذي يؤيد الكيان الصهيوني بكل عمل وبكل وسيلة، ولا سيما وأن قضية (جلعاط شاليط) أخذت حيزاً كبيراً في المجتمع الدولي مع العلم أن أحد عشر ألفَ أسيرٍ فلسطيني يقبعون في السجون الإسرائيلية دون أن يسأل عنهم أحد ولا حتى (بابا الفاتيكان) رجل المحبة والسلام، ورمز الحرية والديمقراطية، فتسود في عينه الحياة، لأن العدل يفترض أن يتحدث عن الأسرى الفلسطينيين، كما تحدث عن الأسير الصهيوني، فكانت أحكامه الجائرة صفعة كبيرة على وجهه، وليس كما حدث لعمر بن الخطاب الذي أتاه رسول (كسرى) ورآه نائماً على الأرض فقال له: حكمت فعدلت، أمنت فنمت، وقد تناول حافظ إبراهيم هذه الحادثة بأبيات رائعة ردّدتها الأجيال حيث قال:

وراع صاحب كسرى أن رأى عمراً
بين الرعية عطلاً وهو راعيها

وعهـــده بملـــوك الفـــرس أن لهـــا
ســـوراً مـــن الجنـــد والأحـــراس يحميهـــا
رآهُ مســـتغرقاً فـــي نومـــه فـــرأى
فيـــه الجلالـــة فـــي أســـمى معانيهـــا
فـــوق الثـــرى تحـــت ظـــل الـــدوح مشـــتملاً
ببـــردةٍ كـــاد طـــولُ العهـــد يبليهـــا
فهـــان فـــي عينـــه مـــا كـــان يكبـــرُهُ
مـــن الأكاســـرِ والـــدنيا بأيـــديها
وقـــال قولـــةَ حـــق أصـــبحت مـــثلاً
وأصـــبح الجيـــل بعـــد الجيـــل يرويهـــا
أمنـــتَ لمـــا أقمـــت العـــدل بيـــنهمُ
فنمـــتَ نـــومَ قريـــرِ العـــين هانيهـــا

ولئن كانت أخلاق صاحب العهدة العمرية التواضع والبساطة التي جعلت رسول كسرى يمدحه بما فيه فقد أفادت العهدة العمرية بأن أعطت المسيحيين الأمان والاطمئنان على أنفسهم وأموالهم وأملاكهم، وألا يصلي المسلمون في كنائسهم، كما امتنع نفسه عن الصلاة في الكنيسة لاعتقاده أن (لا إكراه في الدين) وكي لا يتخذها المسلمون مصلى بعده، وألا يساكنهم اليهود.

وحقاً ما قاله غوستاف لوبون: "ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب".

وإذا كان حديثنا في هذا المقال عن القدس في شعر نزار قباني فسوف نرى المأساة التي تعيشها فلسطين والقدس في أقدس مقدساتها، حيث يقول:

سألت عن محمدٍ..
فيك وعن يسوعْ
يا قدس. يا مدينة تفوح أنبياءْ
يا أقصر الدروب بين الأرض والسماء
يا قدس.. يا منارةَ الشرائع.

هذه المدينة المقدسة تنوء الآن تحت وطأة الاحتلال الصهيوني وتعاني من التهويد المستمر والنزوح القسري للمقدسيين، بالإهمال المتعمد، والاعتداء على المسجد الأقصى [illegible] مقدساتها؟ يقول نزار:

يا قدس.. يا مدينة تلتف بالسواد
يا قدس.. يا مدينة الأحزان
من يوقف العدوان؟
من يغسل الدماء عن حجارةِ الجدران؟
من ينقذ الإنجيلْ؟
من ينقذ القرآن؟
من ينقذ المسيحَ ممن قتلوا المسيحْ؟
من ينقذ الإنسانْ؟

ويرى نزار في أهل فلسطين شبابها، نسائها الأَمل في إنقاذ القدس بل فلسطين كلها فيقول في قصيدته منشورات فدائية على جدران إسرائيل:

المسجد الأقصى، شهيد جديد
ونضيفه إلى الحساب العتيق
وليس النار، وليس الحريق
سوى قناديل تضيء الطريق

نساؤنا..
يرسمن أحزان فلسطين على دمعِ الشَجَرْ
من فسحة الدار، ومن مقابض الأبواب
من ورق التوت.. ومن شُجيرة اللبلابْ
من بركة الماءِ..
ومن ثرثرة المزرابْ
أفتح باب منزلي..
أدخلَهُ. من غير أن أنتظرَ الجوابْ
لأنني أنا السؤال والجوابْ

ثم يلتفت نزار قباني لاستجلاء الوضع العربي الذي أصابه الصَّمم والعمى فأضاع دربه، وينقل صور المأساة الفلسطينية في كل المدن والبلدات، وقد استعمل أداة الشرط (لو) حرف امتناع لامتناع و (أنّ) حرف التوكيد للتمني، وكأنما يقرر مسبقاً، أن لا حياة لمن تنادي، إلاّ من قصيدة شعرية من هنا أو هناك، أو دموع مشفوعة بالدعوات، فيقول:

لو يكتب في يافا الليمون، لأرسل آلاف القبلاتْ
لو أن بحيرة طبريّا تعطينا بعض رسائلِها..
لاحترق القارئ والصفحاتْ..
ولو أنَّ القُدسَ لها شفةٌ، لاختنقت في فمها الصلواتْ..
لو أنَّ..
وما تُجْدي (لو أنَّ..) ونحن نسافرُ في المأساة
ونَمدُّ إلى الأرض المحتلة حبلاً شعري الكلماتْ
ونمدُّ ليافا منديلاً طُرِّزَ بالدمعِ.. وبالدعواتْ
يا بلدي الطيب.. يا بلدي
ذبحتْكَ سكاكين الكلماتْ..

ومع مرور السنين صارت قضية فلسطين وقدسها الشريف كأي برنامج إذاعي، أو مناسبة كالأعياد، وكأنها حقيبة ليس لها صاحب فيقول نزار في قصيدة (الخطاب):

كنت بعد الظهر في المقهى..
وكان البهلوان..
يلبس الطرطور بالرأسِ..
ويلقي كلّ (ما يطلبه المستمعون)
عن فلسطين التي صارت مع الأيام،
(ما يطلبه المستمعونْ)
واحتفالاً مثل عيد الفِطر.. والأضحى
أراجيح، وكعكاً، وفطائرْ..
وزيارات مقابرْ..
وتذكرتُ فلسطينَ التي صارت حقيبةْ
ما لها في الأرض صاحبْ.

وإن مرور الزمن وفعل السياسات الدولية والمؤيدة لإسرائيل، وبعض الحكام المتخاذلين من العرب سعت لتخدير الذاكرة العربية، بـ(إننا عائدون) (غداً سنعود) (القدس عربية) لكن ذلك كان شعاراً وكلاماً يعطى كجرعات مهدئة ليس وراءها طائل. يقول نزار قباني:

خدَّروني..
بملايين الشعارات.. فنمتْ
وأروني القدسَ في الحلمِ.. ولمْ
أجد القدس، ولا أحجارها، حين استفقتْ
فاعذُروني..
أيُّها السادةُ، إن كنتُ ضحكتْ..

كان في ودّيَ أن أبكي..
ولكنّي ضحكتْ..

ويرى نزار كما يرى غيره من الغيورين العرب، ومن الفلسطينيين المخلصين لقضيتهم، والجادين في تحرير أرضهم أن الطريق لاسترجاع فلسطين هو طريق النضال والكفاح، لأن ما أُخذ بالقوة لا يستردّ إلاّ بالقوة، فيقول:

يا أيها الثوارْ..
في القدس، في الخليل، في بيسانَ، في الأغوار
في بيتَ لحم
حيث كنتم أيُّها الأحرارْ..
تقدّموا..
تقدّموا..
قصة السلامِ مسرحيهْ
والعدل مسرحيهْ
إلى فلسطين طريقٌ واحدٌ
يمرُّ من فوهة بندقيهْ

وللوطن عند نزار تعريف غير عادي، فكل بلدة محتلة، مغتصبة، مخطوفة، لا بد أن يكون صندوق ذخيرة تحت إسرائيل ينفجر في أية لحظة، فيقول في تعريف الوطن:

وطني!
يا أيُّها الصدرُ المغطَّى بالجراحْ
وطني..
من أنتَ؟ إنْ لم تنفجرْ
تحت إسرائيل، صندوقَ سلاحْ..

ويتساءل الشاعر: كيف ضاعت الحمراء؟ وكيف ضاعت القدس؟ حقاً لأن العرب لا يقرؤون التاريخ بعد أن لبسوا الخزّ والحرير وعاشوا الليالي الحمراء، ينصح نزار قباني فلسطين ألا تستنجد بهؤلاء العرب الذين وضعوها في مزاد علني، فيقول:

لو قرأنا التاريخ.. ما ضاعت القدس
وضاعت من قبلها الحمراءُ
يا فلسطين لا تزالين عطشى
وعلى النفط نامت الصحراءُ
العباءات كلها من حرير
والليالي رخيصة حمراءُ
يا فلسطين لا تنادي عليهم
قد تساوى الأموات والأحياءُ
يا فلسطين لا تنادي قريشاً
فقريش ماتت بها الخيلاءُ
ذروة الذل أن تموت المروءاتُ
ويمشي إلى الوراء الوراءُ

تلك هي القدس في وقتنا الحالي، وكم تشبه القدس أيام الغزو الصليبي، حيث الدويلات الصغيرة المتناحرة والتي تلجأ إلى العدو ليناصره على جاراتها، إلى أن جاء صلاح الدين الأيوبي، فجمع كلمة العرب والمسلمين ووحد صفوفهم في جيش قوي حرر القدس من الغزاة وطهر مقدساتها من دنسهم، فمن للقدس اليوم؟ ومتى يأتي صلاح الدين؟




أرض تحيا بدم أبنائها

شعر: عدنان أبو عطا

تحية إلى القدس عاصمة الثقافة العربية

أهرقتُ حَرَّ دمي وفيهِ حنينُ
فوقَ الترابِ ليسموَ الزيتونُ
وتدفقتْ أعراقُ قلبي فَرْحَةً
كي يزهرَ البرقوقُ والليمونُ
وأُغيظَ أعدائي بقطفِ ثمارِهِ
فلينتحرْ بغليلهِ صهيونُ
ولئن سعَوْا في قطعِ أشجارٍ لنا
ستشبُّ من تحتِ التراب غصونُ
وينبّهُ الجذرُ العريقُ براعماً
ويمدّها بالروح وهو دفينُ
وكذا السنابل إن أرادوا حرقها
سيزيد في حباتها مليونُ
صهيون أعلنها وكلّ الغرب أيّدهم
على إجرامهم ويُعينُ
في المسجد الأقصى ورغم جراحنا
في يوم جمعة إذ يخوّف دينُ
منعوا الصلاة على الشباب ببيته
وسلاحهم يرمي وفيه جنونُ
وقف الأشاوس للصلاة على الثرى
في كلّ ساحٍ خاشعٌ ميمونُ
وجنود محتل تجمهر جمعهم
بسلاحهم. لا يرهب التنينُ







عــاثوا الفســاد بكــل شــرٍ ضــمّهم
ملعونــــةٌ بجوارهـــا ملعـــونُ
يحمـــيهمُ القـــانون في إجـــرامهم
ولحـــقّ أصـــحاب الــبلاد يُــدينُ
هـــدموا البيـــوت بغـــدرهم أصــحابها
ويخـــيفهم عنـــد اللقـــاء جَــنينُ
لم يكتفـوا بالقتــل والتشــريد باستمـــ
ـــرارهم تحمـــي الكــلاب حصــونُ
حفروا الخنادق تحت مسجدنا الـذي
هـــو قبلـــةٌ والمســلمون عمـــونُ
ظنـــاً بـــأن الهيكــلَ المزعــوم تحــ
ـــت بنائــه وكـــذا تخيــب ظنــونُ
وبقصـــدهم هـــدم البنـــاء بحقـــدِهم
وضـــغينةُ الأعـــراق حيـــث تـــبينُ
يــا قــدس يــا مهــد النبــوّات الــتي
تهــدي الــورى والحــبّ فيــه قــرينُ
مـــاذا أقـــول وكـــل شــعبي ثـــورة
ولهـــم علـــى مـــرّ الزمـــان فنـــونُ
أعــراقهم في الأرض حيــث تجــذّرت
ويمـــد قـــومي بالحيـــاة.. وتـــينُ
يــأبى المذلّـة والخنـوع علـى المـدى
يُعلـــي كرامـــة أرضـــه ويصـــونُ
ولهـــم غبـــوق حجـــارة في كفّهـــم
في كـــل يـــومٍ يشـــهد الشـــربين
إذ كلّمـــا شـــدّوا الأذيٍ كنّـــا لهـــم
ســـدّاً منيعـــا يصـــعب التلـــيينُ
دســـنا علـــى جـــبروتهم بصـــمودنا
ليظـــلّ مرفـــوع الجبـــاه عـــرينُ




قصة
في
درب
الآلام

بقلم الدكتور:
حسن حميد

«سامحني، لأنني لم أكتب إليك منذ ثلاثة أيام، فالحوذي جو لم يأخذني إلى كنيسة القيامة لأن البغالة عادوا مرة أخرى وأغلقوا محيطها، وحالوا دون دخول أحد إليها سوى رعاتها، ما أصعب أن ترى كنيسة القيامة مكاناً للطهر والعبادة، يسيجه البغالة كي يمنعوا المؤمنين من الدخول، كي لا تقام الصلاة، وكي لا تشفى الأرواح.

ذهبت أمس، برفقة الحوذي جو إلى الكنيسة. قال لي، لقد أخطروا نقطة المراقبة القريبة من الكنيسة أن الإغلاق رفع، وبمقدور الآخرين أن يزوروا الكنيسة، وما إن وصلنا إلى محيط الكنيسة، إلى شجيرات السرو العالية، حتى رأينا انتشاراً غير عادي للبغالة. بغال سمينة تتواثب في وقفاتها، وذيولها أشبه بالمراوح تذب عنها الذباب الذي لحق بها من اصطبلاتها، وبغّالة سمان يتوازعون ظهورها، وآخرون يتوازعون المداخل، ويواقفون حواجز الحديد، والزائرون، يرنون من أمكنتهم البعيدة، إلى مدخل الكنيسة.. بعض من الناس قالوا لنا: ربما يرفع الإغلاق فجأة فانتظروا، نظر الحوذي جو إليَّ مستفسراً، فقلت: ننتظر. لهذا أوقفنا العربة بجوار شجيرات السرو، وجلسنا في أحد المقاهي المنتشرة أمام الأكشاك البلورية قرب الكنيسة.. أهم ما لفت انتباهي في هذا الانتظار القسري فرح البغالة وسعادتهم بمنع الزائرين من دخول الكنيسة.. نبهت الحوذي جو، قلت له: انظر كيف يضحكون، لكأنهم يحضرون مسرحية هزلية، أو لكأنهم يلاعبون أولادهم. قال: تمرنوا كثيراً حتى أصبحوا بلا مشاعر، بلا أحاسيس. قلت: أيعد السجّان ما يقوم به عملاً. قال: بلى، إنه ينفذ عمله كما ينفذ الكاهن صلاته!

ورحنا نشرب القهوة، قهوة بلا طعم، بلا معنى.. وراحت أفواج الزائرين تتكاثر حولنا، لا

سؤال لهم سوى متى يرفع المنع، ولا غاية لهم سوى رؤية الكنيسة والصلاة فيها. كان البغالة يسدون درب الآلام الذي مشاه سيدنا. والبغال تفرغ أحشائها ومثاناتها فوق البلاطات الحجرية التي لولا الحياء لأضاءت.. قلت وأنا أشير إليها: انظر ماذا يحدث فوق الدرب الذي مشاه سيدنا.

قال الحوذي: لكأنهم يدغدغون بغالهم كي تفعل فعلتها هذه. قلت: لماذا لا تأخذهم السماء بجريرة أفعالهم. قال: المكان في امتحان إلهي. وهممت أن أقول شيئاً إلا أن نادلة المقهى وافقتنا، وقالت لنا: بأن الزوار شرعوا بالدخول إلى الكنيسة، ولكن من الباب الخلفي. فنهضنا، وقد رأينا بعض الزائرين يمضون في مسار دائري ربما لكي يصلوا إلى الباب الخلفي. وأضافت النادلة: عادة ما يلجأون إلى مثل هذا الأمر كي يقللوا عديد الناس المتواجدين هنا. سألتها: وهل من المتوقع أن يرفع المنع بعد قليل. قالت: أجل. فأخذت يد الحوذي جو وأعدته إلى الجلوس، وأنا أهمهم: دعنا ننتظر قليلاً كي نمشي في درب الآلام، فلا معنى لدخول الكنيسة من بابها الخلفي كالخطاة.

فعلاً، ها هم البغالة يتحركون في أمكنتهم، بعضهم يستدير نحو الطرق الفرعية، والدروب الضيقة، أرى عددهم يتناقص. بعض الحواجز الحديدية تجمع إلى الزوايا، يبدو الدرب بادياً متلوياً مثل نهر يمر بالبيوت محاذياً الأبواب والنوافذ والأشجار والأرصفة. أشير للنادلة كي تقترب. فتضع ما بين يديها، وتدنو مني. أسألها وأنا أشير إلى الدرب: أتظنين أن المنع رفع. قالت: انتظر، سينادون على الناس بمكبرات الصوت.

فانتظرنا، قال لي الحوذي جو: ما أشق الأذى. قلت: وما أتعس الأرواح العاملة عليه. فعلاً، لحظات وتعالى صوت خشن في مكبر الصوت يقول بما معناه أن الطريق إلى كنيسة القيامة باتت مفتوحة، وأن المنع كان بسبب معلومات وصلت إليهم تفيد بأن عملاً تخريبياً كان سيحدث في الكنيسة، لهذا قاموا بفعل استباقي كي لا يحدث مكروه للزائرين.

قلت للحوذي جو، ونحن نصعد العربة: أحقيقة ما يقولونه؟ قال: هذه حجة أبدية دائمة، لقد روى لي أحدهم هنا أن ضابطاً في الجيش أراد أن يلتقي صديقته في أثناء دوامه، فجاء بنفر من هؤلاء البغالة ونشرهم في مدخل الحي، وعلى مفارق الطرق، وذهب هو إلى بيت صديقته بحجة أنه سيحقق مع السكان ما إذا كانت لديهم معلومات عن عمل تخريب سيحدث، وما إذا كانوا قد رأوا تحركات مريبة غريبة.. والناس، أهل الحي، منعوا من الدخول إلى بيوتهم طوال وجود الضابط في بيت صديقته، والحجة أن معلومات وصلت إليهم بأن الحي مستهدف بعمل تخريبي. وأن ما يفعلونه هو خطوة استباقية، فهززت رأسي له وأنا أهمهم: مهزلة. قال: دعنا منهم وانتبه جيداً.. من هنا، من هذا المدخل تماماً.. تقدم سيدنا، أترى ضيقه، تقدم وعلى كتفيه صليبه، انظر إلى الحيطان، هذه الدوائر المرسومة، علامات تشير إلى اصطدام الصليب بالحيطان، انظر، هنا، وهنا، وهنا، وأضاف: سترى هنا، قرب شجرة البلوط الخرافية، هذه التي بدأت تدنو، سترى ركعة سيدنا الأولى.. سترى بقعة الدم الذي نزفته ركبتاه، انظر، ها هي.. أترى، أتسمعني، كانت أصوات الطيور تشكل ضجيجاً عالياً، فهززت له رأسي، وأنا أنظر إلى بقعة شكلتها نقاط الدم، تبدو حمراء أكثر مما ينبغي، وحولها قطع حجرية لها زرقة لامعة مرتفعة قليلاً كي لا تدوسها الأقدام، قال انظر، هذا هو خيط الدم، تابع النقاط، أتراها، فأهزّ له رأسي.. نقاط واسعة مثل الدنانير، قال هنا، وبسبب

تداخل البنـــاء، وانحـــراف المـــدخل، اصـــطدم الصليب بالحائط، فركع سيدنا ركعته الثانيـــة، ونقاط الدم هذه من يديه، من رسغيه تحديـــداً، فقد راحت الحبال تحزّ لحمه، وهـــذه الحنفيـــة المسيجة بألواح الرخام، كانـــت عينـــاً للمـــاء، قربها ركع سيدنا ركعة الثالثة، فحيل بينه وبين الماء، وشدوه جراً والصـــليب علـــى كتفيـــه.. انظر، هنا الحجارة متماهية، لا حواف لهـــا لا حدود، هنا فسد المـــاء وهـــو محـــرم علـــى المؤمنين، لذلك لا ترى أحداً يشرب منه، كثيراً ما رأيت، وفي أثناء مروري هنا، البغال وهـــي تشرب من هذا الماء الجاري.

ويستدير بنا الدرب، يفضـــي إلـــى ســـاحة صغيرة. فيقول الحوذي جو: هذه الساحة التي اجتمعت فيها النساء المقدسيات في أثناء مرور سيدنا، وقد تعالى بكاؤهن، ونشيجهن متألمات. هنا مسحن عرقه، وهنا شرب جرعـــة مـــاء.. لكن لم يحفل بهن أحد. هنا، هنا بالضبط، حيث هذا هو القبر. ماتت إحداهن، حين ركع ســـيدنا وتدحرج، فنزّ الدم من وجهه، ويديه، وقدميـــه وركبتيه، وصدره.. فقد ركعت النسوة كردة فعل على ركوع سيدنا، وتكـــومن فـــوق بعضـــهن بعضاً، وقد لفهـــن الـــذهول، وكانـــت شـــهيدة المشهد، المرأة التي سقطت النســـاء فوقهـــا، وكانت أماً مرضعاً، تركت وليدها، وخرجت كي ترى سيدنا، ولم تعد بالبكاء والصراخ والألـــم، بل عادت بخبر موتها، هذا هو قبرها، وهـــذه الساقية التي تحيط بالقبر، وما من أحد يعـــرف من أين جاءت، وهذه هي الأعشاب كيف نمـــت وما من تراب هنا، فالساحة كما تـــرى مبلطـــة بالحجارة السود، وهذا السياج الحديدي للقبـــر البادي على شكل ذراعين رمز لـــذرعي ابنهـــا الذي كان يجلس معانقاً القبر بذراعيه.. انظـــر من هذه الشرفة الخشبية، أتراها، ليست هنـــا، هنا، هذه التي تدلّي طاساً كبيرة، وكأن ملحاً أو سكرا ينهمر منها.. من هذه الشرفة رشت بنات القدس الملح على سيدنا كي تكتوي جروحـــه، كي تشفى... وإلى جوار مخزن الغـــلال هـــذا، أترى الطيور، أترى هذه الألفة والطمأنينة، هنا اصطدم صليب سيدنا بإحدى العوارض الخشبية فهوى على وجهه فدمّي فمه وأنفـــه وجبينـــه فكانت ركعته الخامسة. أترى، نحن ندور حول الكنيسة، صحيح أنها بادية مثل قلعـــة، وأنهـــا دانية، إلا أننا ندور حولها كي أريـــك مواضـــع الركعات، وكي ترى المســـافة الطويلـــة التـــي مشاها سيدنا والصليب على كاهليه.. أترى هذه الفوانيس، إنها موقدة ليل نهار.. هنـــا ركعـــة أخرى لسيدنا، وقد نظر خلالها إلى السماء حتى كادت عيناه تخرجان من رأسه، وقد لمع نـــور أضاء المنطقة كلها، وهذه الفوانيس إشارة إلى ذلك النور.. يا إلهي، أي درب ناحل هذا، وأي دوران، وأي صعود، وأي بيـــوت هـــذه، وأي أبواب أرى.. إنها أشبه بالأيقونات التي يكـــاد زيتها يسيل.. ينبهني الحوذي جو يقول لـــي، هنا ركعة أخرى، فقـــد انـــدفعت نحـــو ســـيدنا عجوز، مسحت عرقه، ودمه النازف، ثم طوقت عنقه بقطعة جلد كي لا تحز خشـــبة الصـــليب عنقه.. لهذا ترى هذه البيوت وقد تـــدلت مـــن نوافذها، وشرفاتها، وأبوابها وأسيجتها قطـــع الجلد تخليداً لفعل تلك المرأة الناحبة.

ها أنت الآن أمام قصر قيافـــا، انظـــر إلـــى حجارته الكالحة، ونوافذه المتدلية مثـــل ثيـــاب عتيقة، وهذا الجدار المهدم بقايا لبـــرج داوود، وهذه الساحة الوسيعة المسورة تسمى ســـاحة الغنم، هنا كانت تجتمع الأغنام استعداداً لذبحها وتقديمها قرابين، وهذه العتبة، هنا، هنا تماماً، كانت إحدى ركعات سيدنا، فقد ظللتـــه غمامـــة كبيرة حتى كادت تخفيه عن أعـــين الآخـــرين، وبنداها غسلت وجهه، وبللت شـــفتيه، وهـــذه القبة المرتفعة على الأعمدة الأربعة هي رمـــز

لتلك الغمامة السماوية، وهذا المدخل هو مدخل اصطبل سليمان، ها أنت ترى المذاود، والأجران الخشبية، والحجرية.. وتشم روائح الحيوانات.. منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا والروائح منتشرة في المكان، وقد جعلوا طريق سيدنا من هنا للمزيد من الأذى والإهانة، وهذا الحجر الضخم الذي تراه، هو الحجر الذي تنحى عن درب سيدنا حين كاد يصطدم به...

وهذه الأشجار الظليلة تحف به من جهتين كي يظل في ظل ممدود، وقد ركع سيدنا إلى جواره ركعة طويلة بعدما أصابه الإجهاد والتعب، وقد أغرق بالماء كي لا ينام فنهض، لهذا أنت ترى هذه البركة، واسمها بركة الفيض... وهذه الشجرة الكبيرة جداً، شجرة خروب، وهذه البادية منها قرونها السود، انظر ما أكبر جذعها، وما أطول أغصانها، وما أجل علوها... هذه الشجرة تسمى شجرة العشرة، نسبة إلى تلاميذ سيدنا، وقد كان اجتماعهم هنا، حين علموا بأن يهوذا باع سيدهم، وقد تمهل سيدنا هنا ثم تعثر فركع وهناك قرب تلك المحال البادية ذات الأروقة الكتانية، مغارة تسمى مغارة الحمام، ها نحن ندنو منها، لعلك ترى الحمام كيف يحوّم حولها وكأنها نبعة ماء. قلت: أرى. قال: في أثناء مرور سيدنا من أمام المغارة، اجتمع عليه الحمام حتى غطاه، وقيل إن الحمام سقاه وأطعمه، وقد ظن الحرس الذين يقودون سيدنا بأن الحمام سيحمله ويطير به، فخافوا، لذلك انهالوا على الحمام بالضرب، وقيل إنهم قتلوا آلاف الطيور.. وقد كانت لسيدنا ركعة اختلط فيها دمه بدم الحمام.

وأوقف الحوذي جو العربة مواجهة لدرج حجري ضيق، وقال لي هيا نهبط، سوف ندع العربة هنا، ونصعد في هذا الدرج الحجري.. وصولاً إلى الكنيسة، ورأيته يسلم العربة لرجل عجوز، فاستدار العجوز بها كي توافق العديد من العربات، والخيول التي دفنت رؤوسها في مذاود خشبية وسيعة، وإلى جوارها رانات خشبية، وأجران حجرية مملوءة بالماء..

ومشينا خطوات فقط، ولم نتسلم الدرجات الحجرية المرتبة على شكل سلم بعد، حتى قال لي الحوذي جو.. هنا، كانت الركعة الأخيرة لسيدنا، فقد انهار جسده تماماً، وبات الصليب حملاً لا يقوى جسده على حمله.. هنا جيء له بالخبز، والحليب، وأقراص العسل والزيتون، والماء.. غير أنه لم يأكل شيئاً، ولم يشرب قطرة، وهنا قيل.. جسده خبز البشرية، وروحه الفدية.. وأضاف: لهذا أنت ترى من حولنا أفران الخبز، والبائعات، كما ترى النحالين وقد جاؤوا بعسلهم من الجبال والمزارع، كما ترى بائعات الجبن والحليب واللبن، وبائعي الزيتون.. هنا العتبة الفاصلة ما بين الجسد والروح، العتبة التي يسمونها، عتبة الخلاص..

عند عتبة الخلاص، وقرب الدرجات الحجرية.. بدت لنا كنيسة القيامة بحيطانها النورانية، ومدخلها الوسيع، وأشجارها، وحدائقها، وساحاتها، وقبابها، وصلبانها النحاسية.. ورأينا الناس وهم في زهوهم، وألوانهم، وحبورهم... لكأنهم هنا... كائنات من ضوء ونور لا يدري الناظر إليهم من هم الداخلون إلى الكنيسة ومن هم الخارجون.. أعرف أنني أغرقتك بحديثي، لهذا اسمح لي بأن أريحك قليلاً.

ملحوظة:

في الطريق، أخبرني الحوذي جو عن فتاة يعرفها، قال لي إنها صافية مثل عين الديك، وقد حدّثها عني، فرجته أن تراني وتتعرف إليَّ، أسألك ما رأيك، وهل تظن قلبي يحتمل جولات جديدة مع النساء، أرشدني، أرجوك.




المَوئِلُ الرَّطْبُ . .

شعر: عصام شعبان

المَوئِلُ الرَّطْبُ لا الصَّحْراءُ والبيْدُ
أَلِفْتُ رَوْضاً إِلَيْهِ القَلْبُ مَشْدودُ
خَفْقُ النَّسِيْمِ عَلى تِلْكَ الذُّرى عَبقٌ
كَما تَغَنَّى عَلى الأَوْتارِ داوودُ
يا طِيْبَها بَلَدٌ والعِطْرُ يَنْفَحُها
مِنْ طِيْبِ نَرْجِسِها والزَّهْرُ أُمْلودُ
أَلِفْتُ تُرْبَكِ أَوْطاني فَما أَخَذتْ
مِنِّي السُّنونُ ففِيْكِ اليَوْمَ مَرْدودُ
تَاللهِ ما اَلِفَتْ عَيْنِي شَذا عَبقٍ
تَحْتَ الثُّرَيَّا كَما رَيْحانُكِ الغِيْدُ
يَبْقى الأَبِيُّ فَلا عَزْمٌ يُزعْزِعُهُ
دُوْن المَكارِمِ أَوْ يَثْنِيْهِ تَنْكِيْدُ
يا لَيْتَما العَيْشُ في الحَيْنِ مُرْتَجَعٌ
دَفَعْتُ عُمْري وَإِنْ أبْقاهُ تَجْدِيْدُ
ذَكَرْتُ لَهْوي وَأَيّامَ الشَّبابِ فَما
مَلَكْتُ دَمْعي وما للحُزْنِ تَبْدِيْدُ
أَعِيشُ ذِكْراهُ في قَلْبِي وَفي خَلَدي
يا أيُّها العَذْلُ ما للحُبِّ تَحْدِيْدُ







وَإنْ تَحـالَفَ في الرَّوضـاتِ نَرْجِسُـها
مَـعَ البَنَفْسَـجِ جُـوداً دُونَـهُ الجُـودُ
تَشْـدو البَلابِـلُ في أفْنانِهـا طَرَبـاً
يَعُـودُ أُنْسِـي إذا مـا عـادَني العِيْـدُ
يـا مَوْطِنـاً سَـرَقَتْ طَيّاتُهـا أمَلِـيْ
فَلِلمَحَبَّـةِ بـابُ فِيْـكِ مَوصـودُ
لا تَجْعَلِـي الوَصْـلَ يـا أُمّـاهُ مُنْصَـرِماً
مُتِّـي بِوَصْلٍ فَـإنَّ الحَبْـلَ مَمْـدودُ
مـا لِـي أراكِ بِنـا يـا أرْضُ صـارِخَةً
هَـلْ ضِقْتِ ذَرْعـاً وَمَـلَّ الرَّمْلُ والعـودُ
كَفـاكُمُ اليَـوْمَ نَومـاً أيُّهـا العَـرَبُ
فالقـدسُ تَكْلـى وَأَثْـوابُ الـرَّدى سُـودُ
كَفـى سُهاداً فَقَدْ أُتْخِمْتُ مِنْ دَمِكُمْ
مَتـى تَـذوقُ دِمـاءَ الغاصِـبِ الطُّـودُ
كَفـى لُهاثـاً وَراءَ التُّرَّهـاتِ فَقَـدْ
أُشْـبِعْتُ غَـدْراً وأنَّ القَلْـبَ مَجْهـودُ
هَــذا يَبيـعُ وَهَــذا طـاعِنٌ غَـدِرٌ
وَذاكَ أضْـحى بِـهِ لِلـذُلِّ تَخْلِيْـدُ
أَمـا تَـرَوْنَ إلى الزَّيْتـونِ أحْزَنَـهُ
نَعِيْـقُ بـومٍ فَمـا فِـي الـرَّوضِ غِرِّيـدُ
صَـبْراً بِـلادي إلى أنْ يَـأذَنَ القَـدَرُ
هـذا المَصِـيْرُ لَـهُ في الـدَّهْرِ تَفْنِيْـدُ




القدس وصهيون وكتاب الزبور

ألقيت في الندوة الدولية التي عقدت تحت عنوان (القدس في التاريخ) في (القاعة الشامية) في (متحف دمشق الوطني) في ١٥ – ١٧/١٢/٢٠٠٩

بقلم المهندس:
كمال راغب الجابي

تنبئُنا المصادر التاريخية المتداولة ، كما يخبرنا الكتاب المقدس لليهود المسمى (العهد القديم)، بأن الأحبار الذين تصدوا لإعادة كتابة أسفاره في القرن الخامس قبل الميلاد إثر العودة من السبي إلى (بابل) وبعد ضياع أصوله بسبب هذا السبي، قاموا بإسناد أمر العناية بغراس البذار التي نثروها فيه إلى الملك أو النبي (داود)، وجعلوه ينقلها بحب وشغف إلى حصن (صهيون) المجاور لمدينة السلام (أورسالم)، والتي كان إسمها (يبوس) عندما قطنها اليبوسيون الكنعانيّون في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وأضحى (أورشليم) بعد احتلاله لها وصار اسم (حصن صهيون) في (جبل الزيتون) المجاور لها (مدينة داود) إثر هذا الاحتلال. كما أوكلوا إليه أيضاً أمر رعاية هذه الغراس روحياً من خلال نصوص أدبية شكلت بمجملها كتاب (الزبور) أو (سفر المزامير) الذي نسبوه له وجعلوه من مئة وخمسين إصحاحاً رغم أن ثلاثة وسبعين منها فقط أعادوها إليه فيه، بينما أعادوا الباقي إلى كهنة آخرين، واثنين منها فقط إلى ابنه الملك أو النّبي (سليمان) الذي أوكلوا إليه بدوره أمر تنشئة هذه الغراس وتنميتها عن طريق إقامته مشتلاً أو (هيكلاً) في المدينة التي نقلها أبوه إليها إثر احتلاله لها. وعزوا إليه مهمة إعداد تراتيل تعبر عن النشوة خلال الاستظلال بفيئها، وترانيم تتضمن الدعوة إلى التمتع بدفئها، وتبادل العشق بين جنباتها، أطلقوا عليها اسم (نشيد الإنشاد)...

وتفيدنا قراءة واستقراء أسفار (العهد القديم) بأن هنالك استراتيجية اعتمدها من قام بكتابتها لتحريف أصولها تحقيقاً لأهدافه

وغاياته، ارتكزت على مقولات ثلاث، واستندت على وعود منحولة ادعوا إبرامها بين إلهههم وكبار أنبيائهم. أولها مقولة (أرض الميعاد) وثانيها مقولة (الشعب المختار) وثالثها مقولة (كره الأغيار).. وأن هنالك آليةً أوجدوها لتنفيذ هذه الإستراتيجية ركزت على اعتبار (الهيكل) أو (المشتل) الذي ذكروا بأن الملك (سليمان) أقامه في المدينة التي احتلها أبوه، وحصن (صهيون) المجاور لها، مرجعاً لهم وموئلاً، ورمزاً وتعويذةً لإعادتهم إليها، وإلى أرض الميعاد التي تضمها، إذا ما أخرجوا منها لسبب من الأسباب.. كما ركزت على اعتبار هذه الأقانيم جميعاً قيماً تعلو على كل القيم. والتصقوا بها التصاق الأغنية بالنغم. وتوهموا بأنهم سيتربعون عن طريقها على أعلى الذرى وسيتمددون منها ليستولوا على مقادير جميع الورى. وتهافتوا من أجل ذلك على اعتناق مبدأ الغاية تبرر الوسيلة مهما اتسمت هذه الوسيلة بالشر وابتعدت عن الطهر..

وانطلاقاً من هذه الآلية يعتقد معظم أتباع هذا الكتاب والكتب الأخرى التي عمقت هذه المقولات وآليتها لديهم والتي يأتي (التلمود) في مقدمتها بأن احتلال (مدينة السلام) التي سميت (إيلياء كابيتولينا) في عهد (الرومان) واحتفظت بهذا الاسم واسم (أورشليم) في العهد المسيحي، ثم أضحى اسمها (القدس) في المأثور الإسلامي.. يعتقدون بأن هذا الاحتلال هو الطريق إلى (دار السلام) السماوية التي يعتبرون بأنهم سيصلون إليها عند مجيء مسيحهم الذي سيكون من نسل (داود) ويحكم العالم بلا قيود ولا حدود.. بينما لم تستطع القلة المتعقلة من هؤلاء الأتباع تصويب هذا الاعتقاد وتوجيهه إلى اعتبار العهود المبرمة والواردة في (العهد القديم) عهوداً روحية رمزيةً غير مرتبطة بمواقع معينة ومرهونة بالزمن الذي أبرمت فيه. كما لم تستطع إقناع الأغلبية بأن العودة إلى فلسطين هي تقليد رجعي رومانسي مرفوض..

وقد لعب تمسك هذه الأغلبية الغالبة من اليهود بصهيونية (العهد القديم) التي تركز على العودة إلى (مدينة داود) كما أسلفنا ،وتعاونها الوثيق في العصر الحديث مع من عمل ولا زال يعمل على صهينة (العهد الجديد) بعد ضم هذين العهدين في كتاب واحد أطلق عليه اسم (الكتاب المقدس)، لعب دوراً كبيراً في إعادة جزء من الصهيونيين إلى فلسطين. كما لعب الاستعمار القديم والحديث الذي امتطى حصان الصهيودية أي (الصهيونية اليهودية) وراح يحارب بسيفها، لعب الدور الأكثر تأثيراً في هذه الإعادة وبشكلٍ ماكرٍ وخبيث.. ولعبت العقدية الاقتصادية التي جعلها محرفو هذا الكتاب شعاراً له ولهم الدور الأكبر لدى الفئات البشرية الأخرى التي عملت على محاكاته ومجاراة أتباعه، في انتقال عدوى العدوانية إليها. مما جعلها تعتنق عقيدةً طهرانية بروتستانتيةً متشددة ارتكزت على فكرة التفوق والاختيار، وأثمرت عن اعتبار جبال (الروكي) القريبة من ساحل القارة الجديدة الشرقي بمنزلة (جبل صهيون) في أرض الميعاد. الأمر الذي لم يوصل هذه الفئات إلى احتلال أمريكا واستيطانها بعد إبادة شعبها فقط، بل إلى مد يد العون إلى أتباع هذا (العهد) الذين قاموا ثانيةً باحتلال فلسطين وقدسها وجبل صهيون المجاور لها بعد طردهم منها جميعاً منذ حوالي

ألفي عام، واستيطانها مجدداً وتهجير شعبها. وذلك اعترافاً من هذه الفئات بفضل هؤلاء الأتباع ورداً لجميلهم على إنارة الطريق لها للوصول إلى غاياتها..

ويكفي أن نذكر في هذا السياق بأن (سفر المزامير) أو (الزبور) هو أول كتاب طبع في الولايات المتحدة بعد الاستقلال. وأن مجلة The Jew أو (اليهودي) هي أول مجلة صدرت في أمريكا. وأن أول شهادة دكتوراه فيها كان عنوانها (العبرية هي اللغة الأم). وأنه عندما أصدرت (إسرائيل) في عام ١٩٨٠ قراراً بتهويد (القدس) سحبت ثلاث عشرة دولة سفاراتها منها. وكانت ردة فعل إسرائيل بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية عقد مؤتمر في (بال) في سويسرا عام ١٩٨٥ على غرار المؤتمر الذي عقده (هرتزل) عام ١٨٩٨ حضره خمسمائة وتسع وثمانون شخصية مسيحية دولية من سبع وعشرين دولة تقرر فيه إنشاء حركة لدعم (إسرائيل) جرى تسميتها (السفارة المسيحية الدولية) وضعت أربعة عشر بنداً لهذا الدعم نفذ معظمها ومنها حمل البابوية الكاثوليكية على تبرئة اليهودية من دم المسيح ولا يزال هذا المؤتمر يعقد سنوياً منذ عام ١٩٨٥ وحتى يومنا هذا ولا زالت هذه البنود تنفذ من خلاله..

وارتكازاً على هذه المعطيات فإنه يجانب الصواب في اعتقادنا من يتصور بأن الصهيودية مفهوم حديث، أو أنه يعود إلى القرون الوسطى وإلى (مارتن لوثر) في القرن الخامس عشر الميلادي، الذي جمع كتاب (العهد القديم) الذي يضم كتاب (التوراة) مع كتاب (العهد الجديد) الذي يضم (الأناجيل) و(الرسائل) و(الرؤى) في كتاب واحد أطلق عليه اسم (الكتاب المقدس). مع عدم إنكار بل تأكيد الدور الكبير الذي لعبه هذا الجمع في تغذية هذه المقولة وتنميتها وتسليط الأضواء عليها للإيحاء باستمرار مفعولها..

كما يجانب الصواب أيضاً من يتصور بأن الصهيودية مفهوم يعود زمنياً إلى المؤتمر القومي اليهودي الذي عقد في نهاية القرن التاسع عشر بعد الميلاد. إذ أن واقع الأمر بأن دور هذا المؤتمر انصب على بعث مقولة أرض الميعاد من كتاب (العهد القديم) ونفض الغبار عنها، ورسم المخططات لوضعها موضع التنفيذ. بدعم من الدول الاستعمارية. ولدرجة كان تصور سدنة هذا المؤتمر مثل (هرتزل) إقامة دولة صهيونية تكون بمنزلة (إنكلترا الصغرى). وهو تصور مقارب لتصور (موسى هيس) في كتابه (روما والقدس). كما كان هدفهم إقامة كيان صهيوني يحل محل إحدى الشعوب الشرقية أو الإفريقية في (فلسطين) أو (العراق) أو (أوغندا) أو غيرها.. بدعم من إحدى القوى الاستعمارية نظير أن يصبح هذا الجيب الصهيوني الدخيل عميلاً للقوى الاستعمارية التي تقوم بدورها بحمايته..

ويواكب الصواب في تقديرنا من يؤمن بأن (الصهيودية) ليست مفهوماً قديماً قدم كتاب العهد القديم فحسب. وإنما هي الجهة التي ابتكرت مفهوم (الإرهاب). والتي رعت مسيرته على مدار تاريخها. وإن هذا المفهوم بحالته القديمة كان صناعة صهيودية خالصة مسجلة وموثقة في أدبياتها ثم أضحى في حلته الجديدة صناعة فرنسية أو إنكليزية أو ألمانية أو إيطالية. وأصبح بعد ذلك صناعة أمريكية

متقدمةً بامتياز، يعمل المسؤولون الأمريكيون على توثيقها في أدبيات سياسة بلادهم الخارجية يوماً إثر أخر.. فأمريكا هي التي تمارس في العصر الحالي القهر بفخر وتحاكي أتباع (العهد القديم) الذين مارسوا ولا يزالون يمارسون القهر بعهر على مدار العصور. وأمريكا هي طفلة الحضارة التي تقوم تحقيقاً لنبوءات (العهد القديم) بإرضاع المتطفلين عليها من ثدييها. وبحملهم بين يديها. وتدليلهم على ركبتيها. وهي فتوة هذا العصر التي تدعمهم بـ(الفيتو) وتمدهم بالزاد والعتاد كي يدخلوا مدناً لم يبنوها. ويستحوذوا على بيوت مملوءة بالخير لم يملؤوها. ويستثمروا آباراً محفورةً لم يحفروها. ويتمتعوا بكرومٍ وزيتونٍ لم يغرسوها..

وبالعودة إلى كتاب العهد القديم، وإلى المصادر التاريخية التي تدور حوله، نجد بأن فترة حكم الملكين (داود) و (سليمان) استمرت ثمانيةً وسبعين عاماً فقط. وأنها الفترة الوحيدة التي اتحدت فيها أسباط بني إسرائيل على مدار تاريخها القديم. وأنهما حكما مساحةً من الأرض لا تزيد عن ثمانين ميلاً مربعاً في الوقت الذي كان فيه في فلسطين خلال فترة وجودهما حوالي سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد ما يزيد على خمسين ملكاً كنعانياً ، وذلك عند غض النظر عن المهد الحقيقي لأحداث (التوراة) التي تعتبر التفسيرات التقليدية بأنها كانت في فلسطين بينما تقول الدراسات الحديثة بأنها كانت في منطقة عسير من الجزيرة العربية. وهي دراسات جديرة بأن يركز الاهتمام على مقولاتها لتطابق الأحداث التاريخية فيها مع الإحداثيات الجغرافية والمقابلات اللغوية والمحاكمات المنطقية، والتي يزيد من ضرورة الاهتمام بالقيام بها عدم العثور على أي من المكتشفات الأثرية التي تؤكد أياً من الأحداث التاريخية الواردة في (العهد القديم)، على كثرتها وغزارتها، وبخاصة على ما يسمى (هيكل سليمان) في مدينة القدس رغم الاستماتة في إجراءات التنقيب الصهيودية بهذا الخصوص منذ بداية احتلال فلسطين وحتى الآن.. كما نجد بين ثنايا أسفار العهد القديم والمصادر التاريخية المتداولة ما يؤكد بأن وفرة الأحداث التي حصلت خلال فترة حكم الملك (داود) والتي تركزت في سفك الدماء واقتناء النساء وارتكاب الفوائش من قبله وقبل أبنائه جعلت الرب ينتقم من شعبه بإصابته بمرض الطاعون مما ألجأه إلى استغفاره والتوسل إليه. حيث جمع الكتاب دعواته وابتهالاته إضافة إلى التمنيات والتصورات التي وضعوها على لسانه، وإلى ما تبقى من الأحكام الخلقية التي أوحى الله بها، وإلى ما كان سائداً في المنطقة من مفاهيم، وبخاصة (نشيد أخناتون)، وألفوا منها جميعاً (سفر المزامير) والذي لا نحتاج إلى كثير من التدقيق لدى تصفحه لنتبين عدم قيام الملك (داود) بتدوينه لأن كتبته يذكرون صراحةً قيامهم بذلك وهم على ضفاف أنهار بابل خلال السبي بعد فترة وجوده بحوالي خمسة قرون. كما يتبين التباين الصارخ بين أهداف واضعيه بالاستحواذ على أرض الميعاد، والقدس في مركزها وبين التعاليم الموحى بها والمترعة بالقيم ومكارم الأخلاق مما جعل هذا السفر مزيجاً غريباً من عبارات الخنوع والتكبر، والخشوع والتجبر، والتعفف والتشهي،

والابتهال والابتذال، والتبجح والتضرع.. وجميع أشكال وصور التناقض الأخرى..

ومن الأحكام الخلقية التي يعتقد بأنها من بقايا الكتاب الموحى به أو من تراث المنطقة تمجيد المزامير للاستقامة، وتعظيمها للعدل، وتقديسها للحق، وإعلائها من شأن الصدق وتحقيرها للاعوجاج، وتسفيهها للغش والزور، ومهاجمتها للشر، وترديدها لكثير من المكارم الأخرى بينما تغطي على هذه الأحكام أخرى مغايرة لها ومناقضة لمضمونها تمجد الذات اليهودية وتعتبر أصحابها شعباً خاصاً للإله وأمةً مقدسة ومملكة كهنة وتجعلهم مستعلين على الآخرين الذين تصب عليهم النقمات واللعنات التي يفوح منها العفن الذي يزكم الأنوف ويعطب الحواس.

وما الاستقرار النسبي الذي تحس به هذه الجماعة حالياً إلا سراباً سينجلي ويتبدد عندما تستيقظ لدينا العقول وتستعيد الهمم عافيتها لنقزم إستعلاءهم ونحطم غلوائهم.

ونختتم هذه المداخلة بإبراز بعض التعاليم التي خصصتها المزامير لتحقيق استراتيجية كتابها وترسيخ مقولاتهم في وجدان أتباعهم عن طريق تلاوة بعض أبيات نجتزئها من مقطعين من النصوص الشعرية التي أعدنا فيها صياغة أهم الأحداث التي وردت في كتاب (العهد القديم) والأدبيات الصهيونية الرئيسية الأخرى والتي سنصدرها قريباً في كتاب شعر نثري تحت عنوان (أبناء الله وأبناء النّاس) أول هذين المقطعين يدور حول العلاقة الخاصة التي يقررها الكتاب بين الرب الذي اختاروه ثم جعلوه يختارهم وأتباعهم مكافأةً لهم على حسن الاختيار. وثانيهما حول تحقير الآخرين وتمني تشتيتهم وإبادتهم واعتبارهم على هامش الصورة التي يعتبرون أنفسهم في مركزها..

المقطع الأول

المزامير وشعب الله

والرب راعٍ لشعبه
في مزارع خضر يربضه
حريص على مسرته..
لمياه الراحة يورده
كفيل في مساعدته..
يدعم خطاه ويسنده
قريب من حشاشته
يخاصم مخاصمه ويطرده
سخي في أمانيه..
يرسخ وجوده ويوطده
جبل صهيون يهلل له ..
وبنات يهوذا تعاضده
تسبيحات إسرائيل تحيط به
تحمل كرسيه وتمجده
بكلمته صنع السماوات
وبنسمته الكون أوجده
في وسط الآلهة يقضي
يمحي الظلام ويبدده
لا مثيل له بين الأرباب
ولا شبيه يقلده
مبارك من الأزل للأبد..
يعبد إسرائيل فيعبده
باسمه ينطح مضايقه
ويدوس عليه ويبعده

كمال جماله من صهيون..
يشرق عليه فيسعده
لا يتزعزع كل الدهر
يتوكل عليه ويعاهده

إن أنساك يا أورشليم..
انسي ذراعي وافقده

المقطع الثاني

المزامير وباقي الشعوب

وأما الشعوب في المزامير
فتحت أقدام الشعب الدخيل
فعلى أدوم يطرح نعله
ومؤاب مرحضة للتبويل
وشرفاء عمون وفلسطين
كذئبٍ هزيلٍ سقيم نحيل
وأمراء إسماعيل وآشور
كقش ضعيف بريح ثقيل
يملأ الرب وجوههم خزياً
ويجعل ذراريهم إلى أفول
ويمنح إسرائيل شدة ذراعه
ودفء حنانه بحب عليل
اقتناه الرب له خاصةً
وجلل مسيرته بعهد جليل
لأن الرب لا ينسى عهداً
كان منحه لذاك الرعيل
منذ إبراهيم وإسحاق
ويعقوب
وارثي كنعان بوعد أصيل
فهم جماعته منذ القدم
ربطهم وأوثقهم بحبل طويل
أعطاهم أبوهم أرض الأمم
وتعب الشعوب بدون نكول
فمه كالزبدة مع أبناءه
وقلبه للغير كشرك قتول
وكلماته الين من الزيت
وذراعه مشرع
كسيف مسلول
يحمي به أبناءً له
ويحصد أبناء الغير كنجيل
يتلفهم ويبددهم إرباً
ويجعل مسيرتهم إلى ذبول




قدس جديدة

شعر: وليم بليك

ترجمة: عيسى فتوح

هل مشت تلكُمُ الأقدامُ في الزمنِ القديمِ،
فوق جبالِ بريطانيا الخضراءِ؟
هل كان حملُ اللهِ المقدسُ،
يبدو في مراعي بريطانيا السعيدةِ؟

* * * * *

هل تشع ملامحُ القداسةِ
فوق تلالِنا الغائمةِ؟
وتُبنى قدسٌ هنا،
وسط تلك الطواحينِ الشيطانيةِ السودِ؟

* * * * *

أعطني قوسي من الذهبِ المحترقِ،
أعطني سهاميَ من الرغبةِ
أعطني حريتي، أيتها الغيومُ المتشردةُ،
أعطني مركبتي من النارِ.

* * * * *

لن أتوقفَ عن الحربِ الفكريةِ
ولن ينامَ سيفي في يدي حتى،
نبنيَ القدسَ،
في أرضِ بريطانيا الخضراءِ السعيدةِ.




رسالة مفتوحة إلى القدس

بقلم:
محمد منذر لطفي

-١-

أيتها المدينةُ العربية الإسلامية المقدسة:
يا نجمةَ الصباح ومدينــة السـلامْ.. أيتهــا المُوَشَّحَةُ بالإشــراقات والأســرارْ.. العابقــةُ بأبجدية الأطياب والأنوار.
ما ذكرتُكِ يومــاً.. إلاّ وذكــرتُ (إبــراهيمَ وإسحق.. وداود وسليمانَ.. وزكريا ويحيــى.. ومريم وعيسى) عليهم السلام.
أنت يا مدينةَ المحبة والوئامْ.. ونبعَ العطاء الثَّر علَى مرِّ الأيام.. والشهور.. والأعــوام.. ومهبط معظم رسالات السماء إلى الأرض.
ما ذكرتُكِ يومــاً.. إلاّ وذكــرتُ (الإســراءَ والمعــراج) والأنــوارَ القُدســيةَ.. والأطيــابَ السَّماوية التي ينشرُها (مسجدُكِ الأقصى) الذي باركَ الله حوله.. يا قِبلتَنا الأولى التي شــهدتْ إسراءَ رسولنا ومعراجَهْ..
يا زهرة المدائن أنت..
يا همَّنا المُعاصر.. الأولَ والأخير..
ويا حزن (كربلاء) الجديد.. الكبير

-٢-

أيتها المدينة الملأى بجلال التاريخ وقداسة الذكريات:
كأني أرى من وراء الغيب الخليفة الراشدي الثاني (عمر بن الخطاب) يُوقِّع مع البطريــرك (صوفرونيوس) ميثاق الصلح وعهد الأمــان، فيكتب بذلك أروع وأرفع وأنصع العهــود فــي تاريخ الحروب البشرية.. والذي جسَّــد أنبــلَ وألطف فــتح عَرَفْتِــهِ فــي تاريخــك القــديم

والحديث..! وكأني أرى م وراء الغيب أيضاً القائد المسلم (صلاح الدينْ.. بطل معركة حطينْ)، وقد دخلك مُحرِّراً، فكان المثالَ الأسمى للمنتصر المتسامح الرحيم الذي عفا عن الغزاة الصليبيين (قادةً وأفراداً) بعدما جاؤوا من وراء البحار مُحتلّينْ.. وأساؤوا إلى أمته الإسلامية.. وبلده المقدس عشرات السنينْ، ومع ذلك فقد أمَّنَهُمْ - في نهاية المطاف - على أرواحهم وأموالهم ومعتقداتهم، خيرَ خلفٍ لخير سلف.

-٣-

يا مدينةَ الجلال والجمالْ:

لأرضك الغالية الحبيبة، الطالعة كنورٍ في غابة، يُؤْنِسُ عتمةَ الدرب ووحشةَ الطريق.. أريجُ الكرامة والمنعة والعطاءْ، ولسمائك المُزهرةِ بالأمل والفرح والحب.. سنى العزّة والمجد والكبرياءْ.

أنت في صمودك الرائع، وانتفاضتك الأبية، وثورةِ الأطفال حجارَتك الحبيبة.. شقيقةُ (غزَّة) ومُدنِ الضفة الغربية كافة، التي برَّح بها الشوقُ - هي الأخرى - إلى الأهل والأصحابْ، وأضناها فراق الأحبة والغائبينْ.

-٤-

أيتُها القلعةُ العربية الإسلامية الشامخةْ:

يا من تتحَدَّين الظلام والباطل والأغلالْ..

وتصمدين للأعاصير والزلازل والبراكينْ..

وتَتصدَّين للمستعمر الإسرائيلي الغاشم دونما يأسٍ أو قنوطْ..

وتقفينَ أمام جلاَّديكِ بكل شموخٍ وإباء كأشجار السَّرو والسِّنديانْ..

وتتجَذَّرين في القحط العربي سنابلَ خير وبركةْ..

وبيارقَ نصرٍ وعودةْ..

فينتشي الفؤاد من وقفتك البطولية المجيدةْ..

وترتاحُ العين لثورة أطفالك وفتيانك الرافضة لقرار الغزاة بضمِّكِ إلى الوطن المحتلْ[1]..

لأنَّ شجرتَك (من الجذور والأغصان والساقْ.. إلى الأزهار والثمار والأوراقْ) إسلاميةٌ عربيةْ.. إسلامية عربية.. إسلامية عربيةْ..!

-٥-

أيتُها المدينةُ الغاليةْ:

ها أنا ذا أحملُ اليوم إليكِ شوقي وحنيني بيادرَ حُبٍّ وإعجابْ..

وبياراتِ إجلالٍ وإكبارْ.. لموقفك البطولي الرائعْ..

بعد أن عزَّتِ المواقفُ البطولية الرائعة إلاّ من رَحِمَ ربُّك..

وبعد أن أكلتْ طحالبُ العالم الرثة، وجرادُ الكون الشَّره.. واحتَنا الخضراء.. ومواسمَنا الثرية الغلال في الوطن المحتل والضفة الغربية.. وغزَّة والجولان وجنوب لبنانْ..

وها أنا ذا اليوم يسكُنني الانتظار للعودة إليكِ على جُنح غيمة واعدة.. بالرغم من القرار الجائر. وكلِّي أملٌ أن تُقلعَ أشرعتي الإسلاميةُ والعربية في رحلة موغلة عبر

مضائق وبحار ومحيطات العالم القريب والبعيدْ.. لتَستنفرَ لكَ قوى الحق والخيرْ.. ضد قوى الباطل والشرْ..

حتى أكتبَ تجربتَك المُرَّة القاسية على جدار الزمن القادمْ..

وأنقشَ أحلامَكِ الخُضْرَ بلقاء الأحبة والأهلْ.. والأصحابِ والوطنْ.. في ذاكرة الحاضر والمستقبلْ..

وأسفح كلماتي وأشواقي وألواني كما عشتُها بصدقٍ وعفويةٍ وواقعيةْ.. شاهدَ مرحلةً مصيريةٍ حاسمةٍ من تاريخ أمَّتَيْنا الإسلاميةِ والعربيةِ المُعاصرةْ..!

-٦-

ولكنْ آه من قساوة انتظار العودة وقُدوم الربيعْ..!

لكم أخشى أن يطول الانتظارْ..

أو أن تتلاقى العيون بالعيون في الحلم فقطْ..

وعندها سأبكي بحرقة وحرارة وغزارة.. كفلاَّحٍ خذلتهُ الغيوم والأمطار.

هذا هو إحساسي الآنْ.. فلقد تأخر وقت الفرحْ..

وها هي طلائعُ الرياح العاتية تَدقُّ بعنف أبواب الأفق القريبْ.

إنها رياحُ السلام الخادع المزيَّف.. ورياحُ الخلاف العربيِ المرير من المحيط إلى الخليجْ.. خلافُ أشقاء العقيدة الواحدة.. واللغة الواحدة.. بالرُّغم من أن الخطر المُحْدِق بهم واحدٌ.. واحدٌ.. واحدْ..!

-٧-

ومع ذلك.. ومع هذا الواقع المأساوي المَعيشْ..

ومع أني لم أعُدْ ذلك العرَّافُ الماهر الذي يقرأُ الطالع.. ويمتاحُ النجوم.. ويتنبأُ بما تُخَبِّئهُ الأقدارْ..

إلاّ أنَّ الأملَ يغمُرني بلقائكِ: ويوشِّحُني بأكثرَ من وشاحْ.. يا بلدَ السلام وعروس المدائن..

أجل أيتُها القريبةُ.. البعيدةْ.. إنني أشعر بالأمل الغامر في لقائك ورُؤيَتِك ثانيةً ذاتَ يومْ..

عروساً.. ولا أحلى..
وقمراً.. ولا أبهى..
وقطعةً من أرض الوطن.. ولا أغلى..
كانت مسافرةً منهُ..
ثم عادتْ إليه بعد طول غيابْ..
فسلامٌ عليكِ قبل الاحتلالْ..

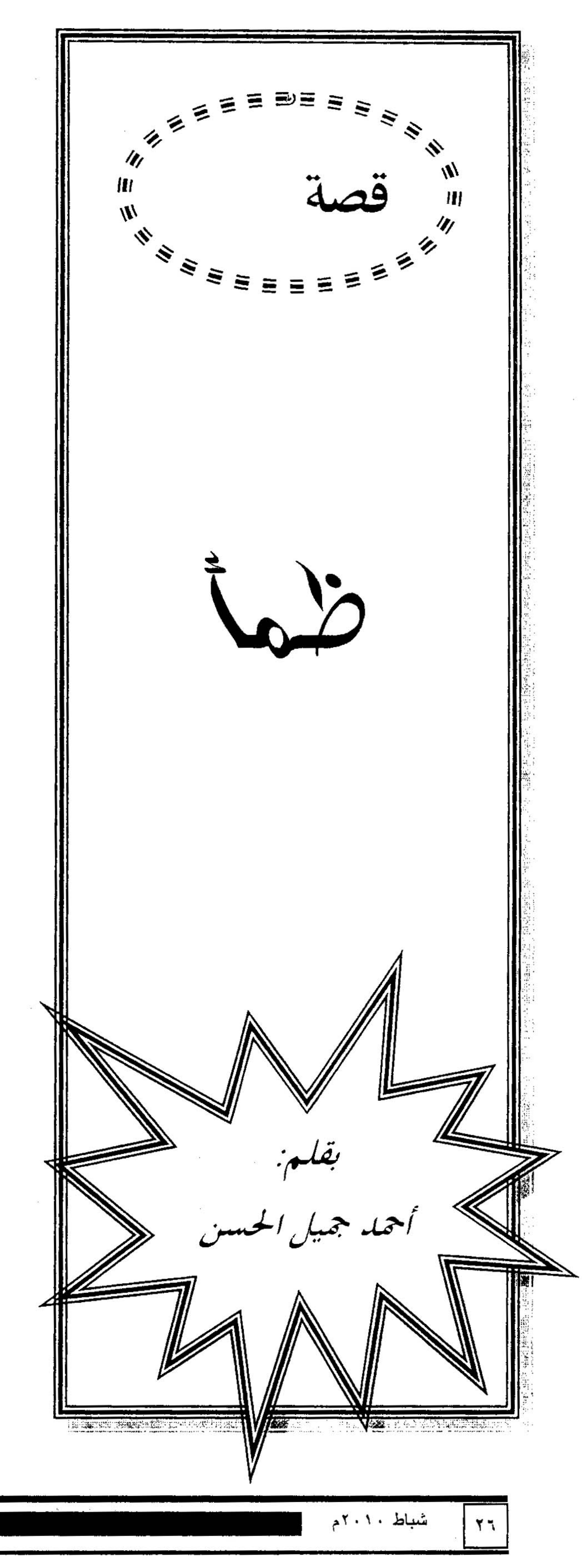
وسلامٌ عليك في محنتكِ وأنتِ تُقارعين الاحتلالْ..

وسلامٌ عليكِ يومَ تعودينَ شامخةَ الرأس، مرفوعةَ الجبينْ..

وقد كلَّلَكِ الزهرُ والآسُ والغارْ..
ووَشَّحَكِ المجدُ والتحريرُ والانتظارْ..!

---

(١) إشارة إلى القرار الذي أصدره (الكنيست الإسرائيلي) بتاريخ ١٤/ ١٢/ ١٩٨١، القاضي بضم الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ إلى إسرائيل.. بما فيها (القدس).



تتحدر الدموع من عينيها بحرقة مريرة، تنظر إليه شاحب الوجه، متشقق الشفتين، يردد بين الفينة والأخرى: (بدّي أشرب يمّا عطشان).

بكثير من الحنان ترتجف يدها، تمسد جبينه الأصفر، تتمتم: (لو كانت دموعي ترويك؟ لو كان دمي يرويك؟)

تتعالى أصوات الانفجارات قويّة تصمّ الآذان، تعقبها زخّات من الرصاص، يقفز الطفل مذعوراً إلى صدر أمه الحنون، تضمه هلعة، تهدهده وتهدئ من روعه.

تستغل الهدوء المفاجئ تتسلل من الكهف الذي شيّدت منزلها فوقه. تشهق وتضرب على صدرها.

كان الدخان يتصاعد من كل أرجاء المخيم، وحارت الحواشين دمرت وسوّيت بالأرض، والأعضاء البشرية متناثرة، جثث متفحمة، والدم يمتزج بتراب الوطن الغالي، ندت عنها صرخة مكبوتة: (يا ورديه)، شعرت بدوار تراءى لها طيف عماد الذي استشهد على باب المخيم بعد أن قتل ستة جنود، اقتحم غفوتها المسروقة من ظلام الكهف وعتمة الليل، تناهى إلى سمعها صوته:

– على ضفاف الخراب نقف وحدنا، ونحتضن آلامنا، ننفخ في شرايين أقاربنا وأهلنا المتجمدة، ولا يأتينا سوى برودة الليل البهيم والصمت الرهيب، تغسل دموعنا حرقة الوجد فينا، ونمضي في لوعة صبرنا واقفين.

تدور برأسها تنظر هنا وهناك، من حارة (الدّمج) إلى حارة (السويطات) مروراً بالحارة التي أصبحت ركاماً، أصبحت البيوت العامرة خراباً تبدو منها الفتحات الكبيرة التي أحدثتها القذائف الحاقدة.

كان الشّبان، يجولون أزقة المخيم، بجبهاتهم السمر، يسخرون من حشد الجنود

الهائل حول المخيم وصوت محمد الجبارين الجهوري بدا واضحاً حين أقسموا: "لن يدخلوه إلاّ على أجسادنا" توزعوا على مشارف المخيم الشمالية والغربية، وتصيَّدوا الجنود الذين حاولوا اقتحامه، قفز أبو الهيجاء من موقعه ورشاشه يطلق النار بغزارة عندما أصيب الطوالبة المتقدم، أفرغ ما تبقّى في مخزنه من الرصاص في جسد الضابط الذي كان يتقدم جنوده.

وتبدأ الحكاية وتنسج السواعد السمراء من خيوط الصمود ملحمة الأرض، عندما تجاوز الحصار الكرامة وبلغ قمة الوجدان، فاضت دماؤهم تلون المدن البعيدة، حملوا راية الزيتون وبيارات البرتقال العطشى عالياً ومضوا بها إلى المطر.

تتذكر صغيرها المستسلم لغفوة قسرية تبحث بين الدمار والخراب عن نقطة ماء تنقذه دون جدوى. عشرة أيام كانت كافية لنفاد كل شيء، بعد أن منع الجنود حتى دخول الهواء.

أصغت إلى أنات واستغاثات تحت الأنقاض، يشدّها مصدر الصوت ويعتصرها، أنّات رجل عجوز، تجاوزته الشيخوخة منذ زمن، عرفته من أنقاض بيته، عبد القادر سبيتان (أبو محمود) قبل بضعة أيام كان مستلقياً تحت شجرة اللّوز التي غرس بذرتها من ثمار اللوزة التي في بيته هناك، وشبّت كأمها في زاوية بيته في المخيم، حيّته ولم يردّ التحية بقي ساهماً، أعادت الكرّة حتى استفاق من شروده، سألته:

– بماذا تفكّر يا أبا محمود؟

أجابها:

– كنت هناك شمالاً بمحاذاة البحر، جانب السور الكبير تماماً، عندما نفدت ذخيرة بندقيتي فألقيتها وسحبت خنجري واختبأت عند الزاوية الجنوبية للسور، كان شاباً أشقر يحمل رشاشاً، إنه طويل القامة عيناه زرقاوان، ممتلئ القد، قدم تجاهي، كل ما أذكره أنّ خنجري كان يغوص عميقاً في لحم رقبته الغليظة والدم يشخب منها. قالوا لي عند مشارف عكّا الجنوبية وهم يسحبونني فوق عودين من أغصان شجرة خرّوب ودماء كتفي ما تزال تنز: كان ضابطاً كبيراً، يهوديا هولندياً، مقتله أثّر كثيراً في نفوسهم.

تهزّ رأسها أسى ومرارة، تهمس المرأة بما يشبه التحدي:

– ليكن هذا الظمأ القاتل، وليكن هذا الدمار، وليأكل من يشاء من ولائم الخنوع، لن نذهب بعد اليوم إلى المجهول، ولن ينهكنا دوار المنافي البعيدة، نعم لقد تحصنّا من مرض الهروب الرهيب سنبقى هنا على الرغم من الجراح النازفة أبداً، فبطوننا ما زالت تنتفخ وتجود.

أمام منزلها المتربع فوق المنحدر الصخري ومقابلها في المنحدر البعيد، كان مرج ابن عامر يمتد بطول النظر، بمحاذاة المخيم شمالاً تربعت ضاحية "صباح الخير" ذات الأبنية الحجرية الكنعانية الأنيقة التي شوّهتها القذائف، انحرفت بنظرها إلى الغرب قليلاً حيث شارع وادي برقين، هناك تجمعت مئات الدبابات والجرافات وآلاف الجنود المدججين.

قال الضابط للجنود:

– تقرباً من الرب وإرضاء له سنقتل كل واحد تطاله أيدينا من هؤلاء الأغيار وسنجعل فطيرنا مقدساً بدمائهم.

قالت المجندة غولدا:

– لا بارك الرب رحمي إن لم يخرج منه شبيه لآرييل.

تحدّق ملياً بذاك المبنى القريب من الجنود، له ذكريات جميلة في نفسها، حيث تعرفت إلى أكثر صديقاتها، وقد أصبح ركاماً، تهذر بما يشبه النّواح: حتّى المدارس لم تسلم من الدمار على يد هؤلاء المتحضرين.

أمام هذه المدرسة داست جنازير الدبابة صديقتها "أمل".

تنبش المرأة ذاكرتها على الرغم من خوفها من بين الدمار، حيث أمضت طفولتها وتفتّحت أزهار أنوثتها:

- لماذا دائماً تتقدّمين الجميع وتقذفين الحجارة يا أمل؟

- هل نترك الأرض لهم؟ أين سيكبر ويلعب غداً أطفالنا؟ أين سيحققون آمالهم وأحلامهم؟

آه يا أمل كم كنت تدركين في سن مبكرة مدى خطورة هؤلاء المجرمين.

الدروب مهجورة ووحده نظرها يجول فيها، يحملها من مكان إلى آخر ويخيفها الصمت المفاجئ الرهيب. يهدأ المخيم رغم ضجيج الغزاة، وتوقف المجزرة الخطا، ترقب المشهد من بعيد، يتولد لديها إحساس بأنها في عالم آخر لا تعرف ما يدور فيه، تبكي من المشهد ويسكن الخوف في عينيها.

- أين أنت يا نضال؟ هل اعتقلوك؟ أم أنك مع أولئك الذين دفنوا بعيداً؟ قلت لي إنك لن تتأخر، ستجلب أجرك من المعلم في المدينة وتعود، انتظرك الصغير كثيراً، حالماً بالحلوى التي ستجلبها له. عشرة أيام مضت ولم تعد، أين أنت؟

تتساءل المرأة التي عمرها متناثر على ضفاف أحلام مجهولة، عن زوجها.

صلية من مدفع رشاش تطلق صوبها، انبطحت أرضاً وزحفت خلف جدار بيتها. تلتقط أنفاسها، تجلس على كومة من الحجارة كان قد جمعها الصغير، تلتفت حولها علّها تجد بارقة أمل في الحصول على نقطة ماء.

أمامها تماماً شتلات الريحان والقرنفل التي بدأت لتوها تنسج وريقاتها، ومسكبة النعناع يابسة ومتفحمة، وشجيرة "الميرمية" اسودّت أوراقها وذبلت.

الظلام يزحف ببطء شديد، تنتظر حلوله بفارغ الصبر ليبعدها عن أعين الجنود.

تهيم ذاكرة المرأة المقهورة في الأمس القريب:

- أقسم أنهم ذات صباح ليس بالبعيد كانوا في شوارع المخيم يعزفون للوطن، تشي أعينهم بأسرار الرجال الذين رحلوا، وبكى على فراقهم نيسان، وحدهم كانوا على أرصفة الموت والعطش يشوي أحشاءهم، وحدهم كانوا وكان الغريب على الأبواب، الطرقات ملّت خطواتهم والماء جفا شفاههم اليابسة ومضوا بدمائهم وتركوا أحلامهم ووصايا عشراً.

عاد صوت الصغير من الكهف باكياً يطلب ماء. تسرح في حشرجاته، تخاف أن تواجهه بدموعها وخيبتها.

النهار يرحل متثاقلاً. الجنود يطلقون النار على كل شيء يتحرك. تتسلل غيمة كبيرة من بين الجبال الشاهقة المحيطة، مقتحمة سماء المخيّم، تقذف مطراً غزيراً، تبتسم المرأة ويتهلل وجهها، تركض مسرعة إلى المنزل غير عابئة بشيء، تجلب وعاء كبيراً، تضعه تحت قطرات المطر الهاطلة.

هرعت إلى الكهف وسقت الصغير.

صفنت المرأة بالصغير يعب الماء منتشياً وهمست بما يشبه الفرح:

- في غيمة الوطن سر الحياة وصحوة الشرايين، تغسل حزن الظمأى، ويتدحرج الرذاذ يمسح دموع الصبايا الأرامل، وحين يشحب وجه جنين تفر الروح من جسدها وتحلق في سماء المخيم، ويدندن الجرح أغنية الغياب.

هامش:

بعد توقف المطر عن الهطول، أطلق الجنود زخات من الرصاص على طفل لم يتجاوز السادسة خرج لتوه من كهف في منحدر صخري جنوب المخيم يحمل بيده "تقيفة" صغيرة.




حكاية القدس

شعر: أحمد عبد الرحمن جنيدو

سـردُ الحكايـةِ للـتعلمِ يقنـعُ
فصـلُ النهايـةِ في الروايـةِ يشـبعُ
كانـتْ حبيبتنـا فصـارتْ عمرنـا
كانـتْ أمومتنـا فصـارتْ ترضـعُ
وبهـا سـتكتملُ المشـاهدُ أنهـا
في نبضـةِ القلـبِ الشـجيّةِ تطبـعُ
في صـهوةِ الليـلِ البهيمـةِ صـرخةٌ
في القلـبِ صـوتٌ نـابضٌ يتوجـعُ
أنـتِ البدايـةُ في الحكايـاتِ الـتي
برقـتْ، علـى نسـجِ الحقيقـةِ تطلـعُ
أنـتِ اليـنابيعُ الـتي طفحـتْ هـدىً
بشـريّةٌ في تربـةٍ تتضـرّعُ
يـا مـوطنَ الأديـانِ يـا هتـفَ السـ
ـماءِ تفـرّدي بجلالـةٍ لا تصـفعُ
فعلـى ترابـكِ أزهـرتْ أرواحنـا
ولـه الفـداءُ دمٌ وروحٌ تـدفعُ
فالقـدسُ ترسـمُ عمقنـا متـداخلاً،
نـورُ الـيقينِ، ضـحى الوجـودِ يشعشـعُ







مــن بــين أروقــةِ التجمــلِ زخمُهــا
يستصــرخُ الأزمــانَ حتــى تقشــعُ

أرضُ الكنــائسِ والمــآذنِ تعتلــي
وهــجَ الفضــاءِ، تطــيرُ فينــا، ترجــعُ

والصــخرةُ الســوداءُ باكيــةُ الــرؤى
خلــفَ اللحــاقِ بســيدٍ يتربــعُ

والقبــةُ الذهبيــةُ الألــوانِ والإحســـ
ـــاس في صــدرِ الهدايــةِ تسـطعُ

فــوق الــبراقِ بنــورهِ متــألقٌ
وجــهُ النبــوءةِ باســمٌ يتضــوّعُ

صــلى بأقصــاها صــلاةَ متــيّمٍ
عــرجَ الســماءَ وقلبــه متــورّعُ

أولى صــلاةِ القبلــتينِ وثالــثُ الحـــ
ـــرمينِ شــيماءُ النقــاوةِ تنبــعُ

مسرى الرسولِ، صلاتنا ابتهلتْ، دمتْ
حتــى اليهــودُ لهــمْ بــأرضٍ مرجــعُ

دون اخــتلاسٍ دون قتــلٍ جــائرٍ
فهنــا التوافــقُ بالعقيــدةِ مقنــعُ

عنــدَ الختــامِ كتابــه القــرآنُ يخـــ
ـــتصرَ الزمــانَ وكــلَّ شــيءٍ جــامعُ

يــا قــوم إنّ القــدسَ أمُّ عقيــدةٍ
منهــا حليــبٌ والصــبا يترعــرعُ






هــي وجهــةُ الأرواحِ نحــو إلهنــا
كــلٌّ علــى ديــنٍ وفيهــا يخشــعُ
مــا ضــرَّ لــو عــرفَ اليهــودُ سـلامَها
فهــي الأمــانُ وأرضُــها لــك توســعُ
كتــبَ الزمــانُ فصــولها مــن لحمِهــا
وبكــى المكــانُ كتــابَ شــاكٍ يخــدعُ
رســمَ الإلــه طريقهــا وبدقــةٍ
لــو تعــرفُ الأسـبابَ مــا بــك يقطــعُ
خلــفَ الشــجيراتِ الصــغيرةِ هــاربٌ
مــن ســيفِ مهــدي للخيانــةِ يلمــعُ
ويســوعُ يــأتي في المعــاركِ حــاملاً
دمُــه علــى الكــفِّ الــتي تتلــوّعُ
كــان الصــليبُ، فمــن لــه متــيقنٌ؟!
إنّ المــآربَ عنــده تترفــعُ
عــذراءَ مــريم قــالَ عيســى صــاخباً
أمــي الطهــارةُ مــن علــيمٍ يشــفعُ
في المهــدِ ينطــقُ طفلــها متحــدّثاً
إنّ العبــادةَ للــرحيمِ، ســنركعُ
ولــه الصــلاةُ، لــه السـجودُ إلهنــا
واللهُ في العليــاءِ ربٌّ ســامعُ
في الــرزق معجــزةٌ، مــن الله المنــى
تحــت الظــلال ينــام طفــلٌ بــارعُ







أنجيلـه نطـقٌ مـن الـرحمنِ في كلمــ
ــــاته أرقـــى المعـــاني تـــزرعُ
أرضُ القداســـةِ قدسُـــنا مرفوعـــةٌ
فـــوق الجنـــاةِ صـــفاؤها يتـــودّعُ
موســـى علـــى جبـــلٍ ينـــادي ربـــه
فيلـــوحُ جـــزءٌ مـــن بصـــيصٍ، يصـــرعُ
جبـــلٌ بصـــيرُ هشاشـــةً مـــن نـــورِه
حتـــى الجبـــالُ مـــن الســـنا تتصـــدّعُ
والنـــورُ في الوجـــدانِ أسمـــى رفعـــة
خـــيرُ الأمـــورِ جلـــتْ بمـــا تتمتـــعُ
عجـــنَ اللحـــومَ وقطـــعَ الأشـــلاءَ في
كـــلِّ اتجـــاهٍ قطعـــةٌ تتـــورّعُ
وبـــأمرِه عـــادتْ طيـــوراً حلقـــتْ
فـــالله يـــأمرُ مـــن يشـــاءُ، ويجمـــعُ
توراتـــه وصـــحائف الأنـــوار ســـا
محـــة وطوّقـــتِ النفـــوس، وتـــردعُ
ذا يوســـفُ المغـــدورُ يعـــبرُ جرحَـــه
فرعـــونُ حـــاكَ خديعـــةً لا تـــردعُ
والله يعـــرفُ مـــا بصـــدرِ خليقـــةٍ
والبحـــرُ يُفلـــقُ والمصـــائرُ تصـــفعُ
ويعـــودُ يوســـفُ أرضَـــه مترفعـــاً
تلـــك النزاهـــةُ والأمانـــةُ أنصـــعُ
وسيمســـكُ المفتـــاحَ عبـــدٌ حـــاكمٌ
وســـيفتحُ الفـــاروقُ بابـــاً يـــدمعُ







وبكـى صـلاحُ الـدينِ كسرَ صـليبها
تلـك المدينـةُ للجميـعِ تشـرّعُ

والقـدسُ واقفـةٌ وشـامخةٌ لنـا
كـلُّ الشعوبِ إلى المحبـةِ تسـرعُ

سـلْ كـلَّ مـن في الأرضِ عنهـا قـائلاً
إنّ الفـؤادَ بحبهـا متلـوّعُ

فـيضُ المكـارمِ مـن فضـائلِها روى
سمـحُ السماتِ، هـو الغـدوقُ الأروعُ

نبـلُ المشـاعرِ إنْ رأى مـن سـحرِها
قبسـاً يفـيضُ إلى التصـافحِ، يجـزعُ

أرضُ التلاصـقِ والتواصـلِ تمتطـي
غـارَ الكرامـةِ والسـماحةِ تسـمعُ

يـا قـدسُ يـا أمَّ الـترابِ تحـيتي
هـذا فتـى الأوجـاعِ قلـبي يمنـعُ

عنـك اغتصـاباً وامتناعـاً جـنتي
هـل بعـدَ مـوتي أمـتي قـد تخـدعُ

يـا قـدسُ يـا فـرحَ الطفولـةِ إنّـني
في الصمتِ مسجونٌ وجيـدي يقطـعُ

مـرّتْ عليـك زلازلُ الأحقـادِ لكـ
ـن صـبرُكِ الجبـارُ يصـمدُ يـبرعُ

فيزيـلُ عـن عـينٍ غشـاوتها تـرى
مـا بعـدَ خـوفينِ احتقانـاً يصـنعُ

عربيـةٌ، صـوتُ المـآذنِ بسـمعِنا
لم يخـبُ، لـن يخبـو، ولـن لا يقمـعُ







مــا دامَ صــوتُ اللهِ في آذاننــا
كــلُّ الــدروبِ إلى الخلاصــةِ تشرعُ
كــلُّ الــدماءِ إلى الــترابِ هديــةٌ
كــلُّ الكنــائسِ للترابــطِ تقــرعُ
يــا قــدسُ يــا طهــرَ الــترابِ بأرضنا
ومدينــةُ النــورِ الــذي لا يقطــعُ
أنــتِ الجــذورُ لعيشِــنا، مــن موتِنــا
نحيــا علــى الأرضِ الــتي لا تفــزعُ
عربيــــةٌ عربيــــةٌ عربيــــةٌ
حتــى السكوتُ مــن البــواطنِ يسمعُ
أرضُ الربــاطِ إلى القيامــةِ عــزّةٌ
لــن تــنحني رأسُ الــذرh لا تخضــعُ
أعطيــتِ دنيانــا رســائل قيمــةٍ
كــلُ السـطورِ لهــا تخــطُّ، وترفــعُ
حتــى الحضــارةُ رغــم سـامقةِ الــرؤى
مــا زالــتِ الأيــامُ منهــا تصــمعُ
أنــتِ المنــارةُ للثقافــةِ، لبهــا
أنــتِ الــتي فــوق الهــوى تترصــعُ
يــأتونَ مــن كــلِّ الأمــاكنِ، يقطنــونَ،
ويرحلــونَ وأنــتِ أمٌّ تهلــعُ
مهمــا قسوا، سرقوا، شكوا، نهبوا، سقوا
تــبقين أنــت منــارةً لا تخنــعُ
فثقــي، صــلابتك الحقيقــةُ قدســنا
إنَّ الــيقينَ بــك النــواةُ والأنفــعُ




القدس عروبة رغم أنف التهويد

بقلم:
محمد دعاوي

القدس رمز القداسة وقبلة المسلمين الأولى أرض المبدأ والمعاد ومهبط الملائكة دعاء الأنبياء ومعراج الهدى إلى سدرة المنتهى.القدس هي الأرض التي بارك الله فيها وحولها هي مدينة السلام والرسالات فيها يضاعف الله أجر الحسنات ومن يعمل من أجلها تحل عليه البركات.الهجرة إليها لا تنقطع والشوق إليها لا يخبو وبها الرفعة من الزلل وفيها العصمة من الدجل وفيها عناق التاريخ ما بين المسجد الأقصى وكنيسة القيامة في رسالة التسامح السامية.

القدس مدينة الله القدس مدينة الإيمان والتوحيد ومدينة الرسل والرسالات اختيرت على علم بل قبل الزمان في الأزل لتحمل هذه الأمانة ولتؤدي هذه الرسالة والله أعلم حيث يجعل رسالاته. شرفت أرضها بأن وطئتها أقدام الأنبياء الكرام ودرج في ربوعها الصديقون والصالحون وتعطرت أنفاسها بعبق الوحي الإلهي الذي حمله جبريل الأمين إلى الأنبياء والمرسلين الذين قاموا على أرضها يدعون إلى الله.

قام فيها أبو الأنبياء إبراهيم الخليل وقام فيها لوط وإسحاق وإسماعيل ويعقوب، ثم قام فيها داود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقام فيها أنبياء كثر آخرون لم يسجل لنا التاريخ أخبارهم صلوات الله وتسليماته عليهم جميعا. وأخيراً شعت فيها أنوار خاتم المرسلين وإمام النبيين محمد فرعى أتباعه هذه المدينة الخالدة وحافظوا عليها، فصينت فيها الكنائس خصوصاً كنيسة القيامة ولم يحصل أي اعتداء على بيت من بيوت العبادة، ولم يؤذ أحد ممن عاش في هذه المدينة في دينه أو عرضه أو أي أمر من أموره منذ أن دخلها المسلمون بقيادة خليفتهم عمر بن الخطاب، فمنذ ذلك التاريخ وهذه

المدينة المقدسة تعيش أيام السلم والسلام وترعى فيها الحقوق وتصان الذمم ويعيش أهلها آمنين مطمئنين يصدح فيها آناء الليل وأطراف النهار بنداء الله أكبر من فوق مآذن المساجد وتدق فيها أجراس الكنائس ويغشى كل إنسان بيت عبادته ويقيم شعائر دينه بحرية تامة ويعيش الجميع بسلام تام.

عرفت القدس مناخاً من الاعتدال والتسامح الديني والتعايش الطبيعي البعيد عن التطرف والعنصرية فالمسلمون الفلسطينيون يوقرون الأنبياء كافة وزيارة المواقع والآثار المقترنة بالأنبياء والتبرك بها جزء من حياتهم كما حملت كثير من الأمكنة والمزارات والمساجد الإسلامية أسماء أنبياء بني إسرائيل تكريماً لهم وهذا من السمات العامة في يوميات الحياة الفلسطينية ولعل من الأمور الفريدة وسط المسلمين الفلسطينيين مسلكهم في الاحتفال بالأعياد الدينية التي تكرم الأنبياء العبرانيين مثل موسم النبي موسى وموسم النبي روبين وأربعاء النبي أيوب وغيرها وكذلك موقفهم من إخوانهم المسيحيين وهي علاقات خلت من التوتر بصورة ملفتة وليس غريباً أن تعهد مختلف الطوائف الدينية المسيحية في القدس بمفاتيح كنيسة القيامة إلى أسرة فلسطينية مسلمة.

ولم يفرق المسلمون بين أصحاب الديانات السماوية كما لم يفرقوا بين أنبياء الله وصارت لهم ذمة ترعى وعهد يحفظ وقامت في بيت المقدس حضارة روحانية فذة وتلاصقت المساجد والكنائس والمعابد وارتفع اسم الله عالياً واطمأنت القلوب وانشرحت الصدور ولم يخل الحال من أوقات ضيق عانى فيها جميع السكان ولكنها لم تشتد حتى تبلغ محاكم التفتيش أو حرق المعابد ومحو آثار الأنبياء.

دام حكم المسلمين للقدس ثلاثة عشر قرناً خلا تسعين سنة تمكن فيها الفرنجة من الاستيلاء على القدس. وهذه أطول مدة في تاريخ المدينة المقدسة ذاقت فيها حلاوة الأمن والاستقرار وأطلقت حرية العبادة لجميع الطوائف دون استثناء وعُنيَ المسلمون بالمدينة عناية فائقة لأربعة أسباب:

الأول: لأن الله خصَّها بالعديد من الأنبياء ابتداءً من أبيهم ابراهيم عليه السلام إلى عيسى ابن مريم صلوات الله عليه. وعن ابن عباس قال:" بيت المقدس بنته الأنبياء وسكنته الأنبياء ما فيه موضع شبر إلا صلى فيه نبي أو قام فيه ملك".

الثاني:لأن الله خصها بإسراء رسوله وحبيبه المصطفى وأنزل في كتابه العزيز سورة كاملة اسمها الإسراء تخليداً لهذا الحدث العظيم في تاريخ البشرية.

الثالث: لأن فيها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين روى الطبري في تاريخه عن قتادة قال: "كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة وبعدما هاجر الرسول صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً" و روى البخاري في صحيحه عن رسول الله قوله: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي" وروى السيوطي في الجامع الصغير "عن زهير بن محمدعن النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى بارك ما بين العريش والفرات وخص فلسطين بالتقديس".

الرابع: لأن المسلمين عدوا المدينة الثغر الذي يمكن أن ينفذ منه العدو إلى الكعبة المشرفة وقبر رسول الله ولذا ما استقر بهم الأمر حتى بادروا إلى سد هذا الثغر وحمايته كي يدرؤوا عنهم خطراً مروعاً.

ولهذه الأسباب الأربعة لم يمض عهد من عهود الإسلام إلا وأضاف المسلمون إلى المدينة جديداً وأصلحوا قديماً وتعلقت قلوبهم بها وحنوا عليها وافتدوها بالمهج وأحاطوها بالرعاية وعبروا عن شعورهم هذا في ما كتبوا من رسائل وكتب في فضائل بيت المقدس. وحب القدس في قلوب المسلمين ليس بحاجة إلى دليل فهي ترتبط بدينهم ونبيهم وتاريخهم ومستقبلهم وتوق كل مسلم وكل حر في هذا العالم للحفاظ على رسالة هذه المدينة العظيمة لا يحتاج إلى برهان.

لا يوجد في العالم كله مدينة تحاكي القدس في ما اجتمع فيها من آثار مقدسة منذ أربعة آلاف سنة بل منذ فجر التاريخ إلى اليوم ولا في ما تثيره في أعماق النفس من مشاعر الإجلال والتقديس ولا في ما تبعثه في القلب من أنس وبهجة. بيد أن المدينة التي تحمل من التاريخ ما لا تحمله مدينة أخرى شهدت على مر تاريخها صراعات متتالية اتسمت بالعنف. وحاول كثيرون استلابها وهي المدينة التي أضاءت العالم بالنور والحب والسلام وكان آخرهم الاحتلال الصهيوني الذي حاول محو تاريخها كله ليخترع لها تاريخاً خيالياً لا يعتمد حتى على حجر ملموس واحد وقد قام هذا التزوير الصهيوني المريع بعملية إيهام الرأي العالمي بأن هذه المدينة مدينة يهودية خالصة من دون الإشارة إلى تاريخ هذه المدينة العريق الذي اندمج فيه المسيحيون والمسلمون العرب وشكلوا قلبه وكان حضور اليهود فيه حضور طائفة دينية عابرة ليس له أي وزن يذكر ولا يحمل أي قيمة تشير إلى أهميته ومساهمته في تكوين هذه المدينة الحضاري والوجداني.

إن الذي يدرس تاريخ الآثار الدينية في القدس يعلم يقيناً أن الأماكن اليهودية المقدسة قليلة جداً لسببين: أولهما أن الرومان دمروا القدس وما فيها من آثار يهودية مرتين مرة سنة سبعين ميلادية على يد تيطيوس ومرة أخرى سنة ١٣٥ للميلاد على يد هادريان وبذلك عفت آثارهم كلها وثانيهما إن الفترة التي ازدهرت فيها الديانة الموسوية قصيرة جدا فحكم داود وسليمان عليهما السلام لم يتجاوز القرن الواحد في حين طال الحكم الإسلامي ثلاثة عشر قرناً أما المسيحيون فالقدس عندهم جماع آثارهم المقدسة وقد أولوها عناية فريدة منذ ظهور المسيحية إلى وقتنا هذا.ويصح القول إن معظم الآثار الموسوية في بيت المقدس قد درس وأضحى بحق كباقي الوشم في ظاهر اليد على أن الإسلام حافظ على ما بقي منها بعد أن عدها من آثار أنبياء الله المرسلين وبالتالي من آثار الإسلام نفسه التي ترجع أصوله إلى أبي الأنبياء إبراهيم الخليل صلوات الله عليه. لقد انقطعت علاقة اليهود بالقدس منذ زمن هادريان الروماني ولم يبق لهم منها إلا ذكريات أقرب إلى الأوهام والأحلام منها إلى الحقائق .

يزعم الإسرائيليون اليوم أن القدس عاصمة أبدية لكيانهم الغاصب ولدولتهم المزعومة التي أقاموها على أنقاض الأوهام والخرافات التلمودية وأكاذيب الحاخامات ودجل الأحبار المزوِّرين وحيل قادة الحركة الصهيونية وأضاليلهم. وقد بنى الإسرائيليون من مجموع هذه التشوهات الشاذة ما خالوا أنه دولة لكنها دولة بلا أساس ولا جذور إنها بيت العنكبوت ((وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت)). ونحن نسألهم أي قدس هذه التي يزعمون؟ إنها أورشليم التاريخية التي هدمها الرومان مرتين وأزالوا اسمها من الوجود وهي التي تنبأ السيد المسيح بخرابها حين قال: "يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء والمرسلين إليها، هوذا بيتكم يترك لكم خراباً" وحين قال

لأحد تلاميذه: "أتنظر هذه الأبنية العظيمة لا يترك حجر على حجر لا ينقض" بل إن نبيهم سليمان تنبأ لها بهذا المصير حين قال لهم: "فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتم إياها والبيت الذي قدسته لاسمي أنفيه من أمامي".

أورشليم تلك اندثرت بسببهم هم وبما كسبته أيديهم من كفر وطغيان وفساد في الأرض.ثم جاء المسلمون وفتحوا المدينة دون قتال لم يأخذوها من اليهود بل من الرومان أعداء اليهود وحافظوا على كنائسها ومعابدها وفي أثناء الحكم الإسلامي وحده أخذ اليهود يعودون إلى القدس وفلسطين يقيمون فيها المعابد وفق الشروط التي وضعها الإسلام لأهل الذمة.ثم إن المسلمين في أثناء المدة التي حكموا فيها جعلوا القدس عاصمة لهم وأحاطوها بهالة كبيرة من الرمزية والتقديس وأوقفوا لها الأوقاف الجليلة وبنوا فيها المساجد والمدارس والرباطات والزوايا والتكايا والمقامات والسبل وأناروا الشوارع وبنوا الخانات والمرافق وأولوها عناية فائقة وتملكوا أراضيها بطرق مشروعة وجعلوا أكثرها في أعمال الخير والعبادة فبأي حق يزعم الإسرائيليون أنها مدينتهم المقدسة وعاصمتهم الأبدية وعلى أيٍ شيء يستندون؟ وهل يمكن للص تسور داراً فدخلها أن يدعي أنها له ورثها كابراً عن كابر وأنها كانت في ملك آبائه الأولين وهل يسوغ العقل والمنطق إلغاء تاريخ مدينة بأكمله امتد آلافاً من السنين كان خلالها عربياً خالصاً صميمياً فالعرب هم الذين بنوها والعرب هم الذين حكموها والعرب هم الذين عاشوا بها قبل الإسلام قروناً متطاولة من السنين وبعد الإسلام إلى يوم الناس هذا وإلى آخر الدهر إن شاء الله. هل يسوغ العقل إلغاء الماضي والحاضر والمستقبل ومحو التاريخ والجغرافيا وإنكار الحقيقة وتجاهل الأنثروبولوجيا والاجتماع من أجل لحظة عابرة مرت في عمر الزمن وعلى حين غفلة منه لم تولد إلا لتموت يوم أقامت بعض القبائل الإسرائيلية البدوية التي لا تعرف الاستقرار مملكة هشة قلقة عانت من الصراعات الداخلية أكثر من الخارجية ولم يكتب لها إلا القصر وأن تمر كلمح البصر وأن تبدأ من حيث تنتهي من الزوال إلى الزوال فتكون تاريخاً للفناء وهباءً في هباء،مملكة وهمية لا يعرف لها رأسٌ من ذنب فهي ريشة في مهب الريح تتقاذفها الأعاصير والأهواء فتسقط قبل أن تقف، مملكة أشبه ما تكون بكومة من قش جمعت أشتاتاً من هنا وهناك أو كأنها ثوب مهترئ كثرت فيه الرقع البالية المنوعة فلا هو يستر عورة ولا هذه الرقع تمنع تمزقه واهتراءه .

إن مدينة القدس مدينة عربية كنعانية أسسها أصحابها العرب الكنعانيون قبل أول عهد لليهود بها بأكثر من ألفي سنة ومن اسمها الكنعاني العربي اشتق اسمها العبري وبقي العرب يعيشون فيها حتى خلال الحكم الإسرائيلي الغابر بل إن الإسرائيليين استعانوا بالعرب الكنعانيين في بناء هيكلهم وهذا يشير إلى حالة البداوة المتخلفة التي كان يعيشها الإسرائيليون فهم في عصرهم الذهبي عاجزون عن البناء والتعمير فلا يوجد عندهم صناع أو بناؤون والتوراة تؤكد ذلك فحين أقبل سليمان على بناء الهيكل لم يجد في إسرائيل من يقوم بذلك بل بما هو أدنى من ذلك فاستعان بحورام ملك صور والكنعانيين المهرة.

ظلت القدس تحكم من قبل العرب ردحاً طويلاً من الزمن وتصف التوراة المدينة في ذلك العهد بأنها مدينة يبوسية قوية وظلت كذلك حتى تم فتحها من قبل داود عليه السلام وكانت المدينة تتموضع فوق هضبة الظهرة

إلى الجنوب من المدينة المسورة الحالية في مكان محصن تحصينا طبيعياً بواسطة الأودية التي تحيط بها من كل جانب وعلى الرغم من أن داود عليه السلام أصبح قوياً ووسع نفوذه شرقاً وشمالاً وجنوباً إلا أنه لم يضم الساحل الفلسطيني وعليه لم يصبح الساحل يوما خاضعاً للسيادة الإسرائيلية وتقول القصة التوراتية إن داود عليه السلام بعد فتحه للقدس أو يبوس استمال اليبوسيين وأصلح المدينة ولكن يبدو أن المدينة بقيت على حالها في عهده حيث لا توجد أدلة تشير إلى اتساع المدينة في عهده وهذا ما تؤكده الأبحاث الأثرية فجزء السور الذي يعود إلى العصر البرونزي الذي تم التعرف عليه لم يكن قائما في عهد النبي داود فحسب بل استمر في أداء وظيفته أكثر من مئتي عام بعد ذلك.

لقد كان فتح القدس من قبل داود عليه السلام إيذانا بتأسيس كيان سياسي للإسرائيليين بزعامة النبي داود. ويمكن القول بأن تسلل الإسرائيليين إلى فلسطين كان ولا يزال موضوع نقاش طويل لم يصل إلى نهايته حتى الآن فتذكر بعض الروايات أن بعض القبائل الإسرائيلية القديمة تسللت من الجنوب والبعض الآخر تسلل من الشرق إلى الشمال وبين هاتين المجموعتين كانت القدس القوية تمنع التحامهما وبعد فتح داود للمدينة استطاع أن يربط بين تلك المجموعتين. وتولى السلطة بعد داود ولده سليمان وفي عهده توسعت مدينة القدس فأتم بناء المعبد الذي ابتاع أرضه والده من أرنان اليبوسي الواقعة على تل موريا.وبعد موت النبي سليمان تولى ابنه رحبعام واقتتل هذا مع أخيه يربعام فانقسمت المملكة إلى شطرين الشطر الجنوبي ومركزه القدس والشطر الشمالي ومركزه شليم فاستغل الفرعون المصري شيشاك أو شيشق الفرصة فأخذ القدس وبعد أن أخضعها وفرض الجزية عليها عاد إلى بلاده فتناوب عليها بعد ذلك العرب. ومن يتتبع تاريخ الشطرين اللذين آل إليهما الكيان الذي أقامه سليمان عليه السلام يجده تاريخاً معقداً فقد ظل العداء قائماً بينهما حتى سقوط الشطر الشمالي بيد الآشوريين وسقط الشطر الجنوبي بعد ذلك على يد البابليين في عهد ملكهم نبوخذ نصر الذي دمر القدس ونقل سكانها إلى أماكن مختلفة وسبى قسماً منهم إلى بابل وقد فضل هؤلاء المسبيون الإقامة في بابل ولم يختاروا مغادرتها بعد أن طابت لهم الحياة فيها وقد تآمر كبراؤهم على الدولة البابلية وأعانوا الفرس على إسقاطها.

ظلت القدس تحت الحكم الفارسي حتى خلصها منهم الإسكندر المقدوني وبعد موته وانقسام مملكته حكمت القدس من قبل خلفائه البطالمة في مصر تارة وخلفائه السلوقيين في سورية تارة أخرى وقام الملك السلوقي أنطيخوس الرابع حوالي عام ١٦٥ق.م بتدمير الهيكل ونهب كنوزه ووضع حكاماً على القدس ساءتهم أعمال اليهود فعاملوهم بقسوة وفرضوا عليهم ضرائب باهظة وذلك بسبب عدم التزام اليهود بالعهود والمواثيق.

دخلت القدس في حكم الرومان الوثنيين بعد ذلك وتسبب اليهود في تدمير مدينة القدس وخرابها مرتين بسبب إشاعتهم للفوضى والشغب مرة على يد الإمبراطور الروماني تيطوس الذي دمر المدينة انتقاماً من اليهود عام ٧٠م ومرة على يد الإمبراطور الروماني هادريان عام ١٣٥م وقد دمر هذا الإمبراطور المدينة وغير اسمها إلى إيليا كابيتولينا وحرث موقعها وأعاد تخطيطها كمستعمرة رومانية وبنيت وفق مخطط المعسكرات الرومانية. وعندما تنصرت الإمبراطورية الرومانية حملت القدس اسم إيلياء وقد تعرضت لهجوم الفرس

أعداء الرومان عام ٦١٤م وهدمت كنائسها وأديرتها وأخذ بطركها أسيراً وقد قام اليهود الذين تعاونوا مع الفرس بذبح الكثير من سكانها المسيحيين وبعد أن استرد الروم البيزنطيون القدس بعد عدة سنين انتقم هرقل من اليهود على خيانتهم وحين فتح المسلمون المدينة بعد ذلك عام ٦٣٨م الموافق ١٥هـ اشترط أهلها على لسان بطركهم ألا يساكنهم اليهود وذلك جراء ما عانوه من غدر اليهود وخيانتهم فلا تزال ذكريات الأمس القريب المرة ماثلة أمامهم يتجرعون غصصها ولا يزال صوت وقع سنابك خيول الفرس وصليل سيوفهم يتردد صداها في آذانهم يوم أعانهم اليهود على اغتصاب مدينتهم المقدسة وهدم كنائسهم وسفك دمائهم وسبي ذراريهم ولم يكن محرك اليهود ودافعهم إلى فعلتهم هذه إلا حقدٌ دفينٌ في صدورهم ومرضٌ متمكنٌ في قلوبهم وخبثٌ متأصلٌ في نفوسهم وهذا ما يبيح لهم الغدر بمواطنيهم دون أن يرعوا ذمة أو جواراً.

واستمراراً للعقلية اليهودية القديمة في التخريب والتدمير والإفساد جاء اليهود الجدد الصهاينة ليتابعوا المسيرة وليمشوا على نفس الدرب الذي سلكه أسلافهم وليتخذوا منهج الغدر الحاقد والانتقام المدمر مخططاً لهم ويتبنوا مبدأ المكر الخبيث عقيدة لهم وديناً لا يحيدون عنه ما أشرقت الشمس أو غربت فهدموا الكنائس والمساجد واعتدوا على دور العبادة ومنازل الآمنين وسفكوا دماء الأبرياء وشردوا الناس من ديارهم وأراضيهم وحولوا عدداً من المساجد إلى حانات يقترفون فيها الآثام والمنكرات. ووقعت القدس أسيرة في قبضة العدوان الصهيوني عام ١٩٦٧م تحت تواطؤ دولي وصرخت زهرة المدائن ودرة مدن العرب مستغيثة مستصرخة نخوة معتصم غيبه ضعف الواقع العربي وتفتت وحدة الصف وضياع العرب في ميادين السياسة الدولية حتى صاروا كالأيتام على مأدبة اللئام.

ولم يكتف الصهاينة باغتصاب القدس واحتلالها بل عمدوا إلى تهويد المدينة ومحو هويتها العربية وجعلها مدينة يهودية خالصة بسكانها وتراثها وعمارتها وإدارتها. فأقاموا المستوطنات وأزالوا المعالم التاريخية الشاهدة على عروبة القدس وغيروا أسماء الأحياء والشوارع إلى أسماء عبرية. كما تم انتزاع عدد من الأحياء العربية لإقامة المستوطنات وهي: حي الشرق وحي السلسلة وحي الباشورة وحي المغاربة وهُدمت مبانيها وشُرِدَ أهلها من أجل تصفية الوجود الفلسطيني فوق أرضه. لقد أقامت السلطات الإسرائيلية المستوطنات لتغير بيئة القدس العربية وصولاً إلى تحقيق هدف تهويد القدس العربية الإسلامية.

وبعد فهل يغير كل ذلك من الحق شيئاً وهل يمكن لجناح ذبابة أن يغطي وجه الشمس ويحجب نورها إن الحق بين واضح لا يحتاج إلى دليل بل هو الدليل والبرهان على غيره. فمدينة القدس عربية منذ أن وجدت في التاريخ إلى أن غزاها الصهاينة حديثاً وجثموا على صدرها عربية حتى العظم لا يشوب عروبتها شائبة ولن يتخلى عنها أهلها ولن يخذلوها وأهلها هم جميع العرب مسلمين ومسيحيين من المنامة إلى نواكشوط. فالقدس هي عروس عروبتهم ومصير العرب وبقاؤهم متعلق بمصير القدس و بقائها فلا بقاء لهم إلا ببقائها ولا كرامة لهم إلا باستردادها ولا حرية لهم إلا إذا قدموا أرواحهم فداءً لأسر أقصاها وقبتها المشرفة وسائر مقدساتها.





أم المدائن..

شعر: محمود حمود

أمُّ المدائن

ليلة الإسراء والمعراج

خطُّ النور

وصلُ محبة الرحمن

مع أم القرى

وإشارةٌ أن ليس أطهرُ من مكانتها

على هذا الثرى

قدسٌ من القدّوس إسمُ الله

والله اصطفاكِ زهرةً ضوعَ الورى

لم ينطفئْ يوماً – وإن عمَّ الظلام الكون – نورُ الله

يا مهدَ المسيح وبيرق المختار

يا نبراس هذا الكون يا قدسُ

ويا من قهرها استعصى

وإسم الله يُذكر عالياً

من ميسم الأقصى

وها أحجاره تبكي دماً، قيحاً

تصلّي

تشبك الراحَ النظيف يراحَ

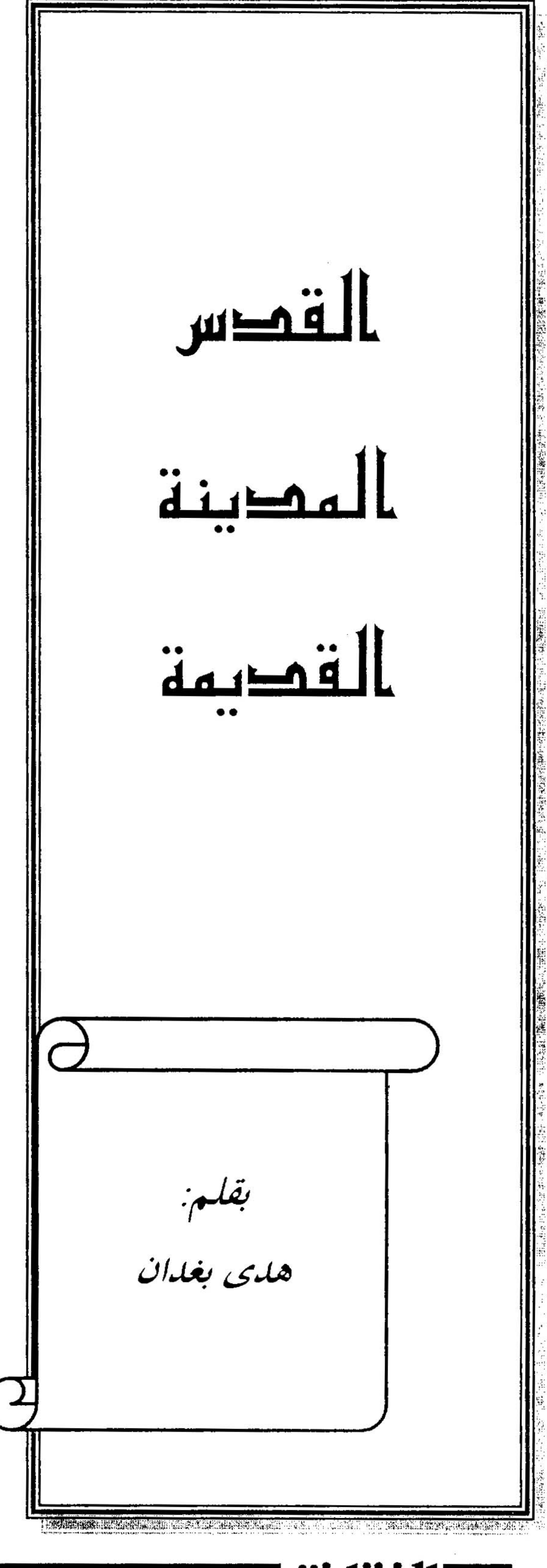







وعلى شذى من عطره
صلّى الأقاحْ
وبدا من الصخر الأصمِّ بقاعه
ماءٌ قُراح
تاريخ أرضٍ للملا يُحكى
قالوا: (بكاء الحائط المبكى)
فاستنفر الأقصى
وأقصى ذكر باسم الله لبَّهمو
وعلى وجوه الآثمين بدا إنشراحْ
ظنّوا بكل أصالةٍ يوماً يُطاح
هبَّتْ نسيمات الكِوى من مسجدٍ
فاستنفروا
فَجَروا
وفي وجه الذرا شهروا السلاحْ
هم سطَّروا لغةَ السفاحْ،
هم فكّروا أنّ لا رياحَ تهزهم
كلُّ الحرام لهم مباحْ
فليبشروا
وكما أطاح بغيرهم زخم الكفاحْ
من غضبة الأقصى ومن ألم الجراحْ
يوماً سينبلج الصباحْ



القدس المدينة القديمة

بقلم:
هدى بغدان

القدس جغرافياً:

تقع مدينة القدس في وسط فلسطين تقريباً، إلى الشرق من البحر المتوسط على سلسلة جبالٍ ذات سفوحٍ تميل إلى الغرب وإلى الشرق. وترتفع عن سطح البحر المتوسط نحو ٧٥٠م، وعن سطح البحر الميت نحو ١١٥٠ م، وتقع على خط طول ٣٥ درجة و١٣ دقيقة شرقاً، وخط عرض ٣١ درجة و٥٢ دقيقة شمالاً. تبعد المدينة مسافة ٥٢ كيلومتراً عن البحر المتوسط في خط مستقيم و٢٢ كم عن البحر الميت و٢٥٠ كم عن البحر الأحمر، وتبعد عن عمّان ٨٨ كيلومتراً، وعن بيروت ٣٨٨ كيلومتراً، وعن دمشق ٢٩٠ كيلومتراً.

وقد كانت أرض مدينة القدس في قديم الزمان صحراء تحيط بها من جهاتها الثلاثة الشرقية والجنوبية الغربية الأودية، أمّا جهاتها الشمالية والشمالية الغربية فكانت مكشوفة وتحيط بها كذلك الجبال التي أقيمت عليها المدينة، وهي جبل موريا (ومعناه المختار) القائم عليه المسجد الأقصى وقبة الصخرة؛ ويرتفع نحو ٧٧٠ متراً، وجبل "أكر" حيث توجد كنيسة "القيامة" وجبل "تبريتا" بالقرب من باب الساهرة، وجبل "صهيون" الذي يُعرَف بجبل داوود في الجنوب الغربي من القدس القديمة. وقد قُدِّرت مساحة المدينة ب١٩٣٣١ كم٢، وكان يحيط بها سور منيع على شكلٍ مربع يبلغ ارتفاعه ٤٠ قدماً وعليه ٣٤ برجاً منتظم، ولهذا السور سبعة أبواب وهي: باب الخليل، باب الجديد، باب العامود، باب الساهرة، باب المغاربة، باب الأسباط، باب النبي داود عليه السلام.

نشأة النواة الأولى لمدينة القدس كانت على (تل أوفيل) المطل على قرية سلوان التي كانت تمتلك عين ماء ساعدتها في توفير المياه للسكان، إلا أنها هُجِرت وانتقلت إلى مكان آخر

هو (جبل بزيتا) ومرتفع موريا الذي تقع عليه قبة الصخرة، وأحيطت هذه المنطقة بالأسوار التي ظلّت على حالها حتى بنى السلطان العثماني (سليمان القانوني) سنة ١٥٤٢ م السور الذي لا يزال قائماً، محدّداً لحدود القدس القديمة جغرافياً، بعد أنْ كان سورها يمتد شمالاً حتى وصل في مرحلة من المراحل إلى منطقة المسجد المعروف (مسجد سعد وسعيد).

وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، لم تعدْ مساحتها تستوعب الزيادة السكانية، فبدأ الامتداد العمراني خارج السور، وفي جميع الجهات ظهرت الأحياء الجديدة التي عرفت فيما بعد بالقدس الجديدة، إضافةً إلى الضواحي المرتبطة بالمدينة التي كانت، وما زالت قرى تابعة لها، وقد اتخذ الامتداد العمراني اتجاهين أحدهما شمالي غربي والآخر جنوبيّ.

تاريخ القدس:

القدس مدينة قديمة قدم التاريخ، ويؤكد مؤرّخون أنّ تحديد زمن بناء القدس غير معروف ولا يستطيع مؤرّخ تحديده وبداية وجودها مرتبطة بالمسجد الأقصى الذي بني بعد المسجد الحرام ب ٤٠ عاماً، وتذكر المصادر التاريخية أنها كانت منذ نشأتها صحراء خالية من أودية وجبال، وقد كانت أولى الهجرات العربية الكنعانية من شمال شبه الجزيرة العربية قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف عام، واستقرّت على الضفة الغربية لنهر الأردن، ووصل امتدادها إلى البحر المتوسط، وسميت الأرض من النهر إلى البحر، بـ"أرض كنعان"، وأنشأ هؤلاء الكنعانيون مدينة (أورسالم).

وقد اتّخذت القبائل العربيّة الأولى من المدينة مركزاً لها، واستوطنت فيها وارتبطت بترابها، وهذا ما جعل اسم المدينة "يبوس". وقد صدّوا عنها غارات المصريين، وصدّوا عنها أيضاً قبائل العبرانيين التائهة في صحراء سيناءٍ، كما نجحوا في صدّ الغزاة عنها أزماناً طوالاً.

خضعت مدينة القدس للنفوذ المصري الفرعوني بدءاً من القرن ١٦ ق.م، وفي عهد الملك أخناتون تعرّضت لغزو "الخابيرو" وهم قبائل من البدو، ولم يستطع الحاكم المصري عبدي خيبا أن ينتصر عليهم، فظلت المدينة بأيديهم إلى أن عادت مرة أخرى للنفوذ المصري في عهد الملك سيتي الأول ١٣١٧ – ١٣٠١ ق.م.

استولى الإسكندر الأكبر على فلسطين بما فيها القدس، وبعد وفاته استمر خلفاؤه المقدونيون والبطالمة في حكم المدينة، واستولى عليها في العام نفسه بطليموس وضمّها مع فلسطين إلى مملكته في مصر عام ٣٢٣ ق.م، ثم في عام ١٩٨ ق.م أصبحت تابعة للسلوقيين في سوريا بعد أنْ ضمّها سيلوكس نيكاتور، وتأثر السكان في تلك الفترة بالحضارة الإغريقية.

استولى قائد الجيش الروماني بومبيجي على القدس عام ٦٣ ق.م وضمّها إلى الإمبراطورية الرومانية، بعد ذلك انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين غربيّ وشرقيّ وكانت فلسطين من القسم الشرقي البيزنطي، وقد شهدت فلسطين بهذا التقسيم فترة استقرار دامت أكثر من مئتي عام، الأمر الذي ساعد على نموّ وازدهار البلاد اقتصادياً وتجارياً وكذلك عمرانياً، مما ساعد في ذلك مواسم الحج إلى الأماكن المقدسة.

ممّا ذُكر سابقاً يُستنتج أنّ الوجود اليهوديّ في فلسطين عموماً والقدس خصوصاً لم يكنْ إلا وجوداً طارئاً وفي فترة محدودة جدّاً من تاريخ القدس الطويل.

بدأت مرحلة الفتح الإسلامي للمدينة المقدّسة عندما أسري بالنبي محمد صلى الله عليه وسلّم، حيث تجلى الرابط الأول والمعنوي بين المسجد الأقصى والمسجد الحرام في معجزة الإسراء والمعراج، ثم أتى الرابط المادّي أيام الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث دخل الخليفة عمر مدينة القدس سنة ٦٣٦/١٥هـ (أو ٦٣٨م على اختلاف في المصادر) بعد أنْ انتصر الجيش الإسلامي بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح، واشترط البطريرك صفرونيوس أنْ يتسلّم عمر المدينة بنفسه فكتب معهم "العهدة العمرية" وغيّر عمر بن الخطّاب اسم المدينة من إيلياء إلى القدس فيما بعد.

واتخذت المدينة منذ ذلك الحين طابعها الإسلامي، واهتمّ بها الأمويون (٦٦١ - ٧٥٠م) والعباسيون (٧٥٠ - ٨٧٨م)، وشهدت نهضة علمية في مختلف الميادين.

التعريف بالمقدّسات:

يتفق علماء التاريخ البشري أنّه لم تحظَ مدينة قط بما حظيت به القدس من أهمية لدى شعوب الأرض قاطبة، فهي مهبط الوحي، وموطن إبراهيم خليل الرحمن، ومقر الأنبياء، ومبعث عيسى كلمة الله التي ألقاها إلى مريم، وهي أولى القبلتين، وثالث الحرمين، استقبلها المسلمون زهاء عامٍ ونصف بعد هجرة الرسول الكريم إلى المدينة، وخصّها الله بإسراء رسوله وحبيبه المصطفى وحتى اليهود يزعمون بأنها تضم "هيكلهم المقدس".

القدس في الديانة اليهودية:

تضمّ القدس أكثر من خمسة عشر كنيساً ومعبداً جميعها إمّا أبنية مستأجرة، أو أبنية أنشئت خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ولكن أهمّ المقدسات اليهودية والتي يدّعي اليهود وجودها هو هيكل سليمان المزعوم والذي له مكانة خاصة في العقل اليهودي فهو يقع في مركز العالم، فقد بُني في وسط القدس التي تقع في وسط العالم، وقدس الأقداس يقع في وسط الهيكل، فهو بمثابة المركز، وأمام (قدس الأقداس) حجر الأساس (النقطة التي عندها خلق الإله العالم)، وهو يمثل الكنز لديهم، فالإله في تصورهم خلق العالم بيد واحدة بينما خلق الهيكل بكلتا يديه، بل إنه خلق الهيكل قبل العالم، وهم بهذا يرونه أهمّ ما في اليهودية. ومن الملاحظ أنّ اليهود يخضعون الهيكل لكثير من الرموز والمعاني الكونية العظيمة، فجاء معمار الهيكل وتصميمه خاضعاً هو الآخر لتلك التفسيرات.. وقد شيده الملك سليمان وأنفق ببذخ عظيم على بنائه وزخرفته.. حتى لقد احتاج في ذلك إلى أكثر من ١٨٠ ألف عامل.

وقد أتى له سليمان بالذهب من ترشيش، وبالخشب من لبنان، وبالأحجار الكريمة من اليمن، ثم بعد سبع سنوات من العمل المتواصل تكامل بناء الهيكل (سفر الملوك الأول، الثاني).

كما أنّ اليهود يعتقدون أنّ كسارة ألواح موسى عليه السلام مدفونة تحت الجدار الغربي من سور المسجد الأقصى ببيت المقدس (حائط البراق) وهم يجتمعون هنالك يبكون ويحيون ذكر مجدهم الديني في هيكلهم، كما أنهم يطلقون عليه اسم (حائط المبكى).

ما يدَّعى من أماكن مقدَّسة لليهود في فلسطين:

الموقع	ملاحظات
"حائط المبكى"	إلا أنّه وقف إسلامي
عدة كنس	في الحي اليهودي داخل المدينة القديمة
الهيكل المزعوم	ولم يوجد أي أثر له

القدس في الديانة المسيحية:

تضم القدس أكثر من ٤٧ أثراً من الكنائس والآثار المسيحية منها كنيسة القيامة (وفيها عدة كنائس) ودير أبينا إبراهيم والدير الكبير.

والقدس في الديانة المسيحية تحظى بمكانة خاصة، كيف لا وفيها -حسب معتقدهم- موقع صلب يسوع ودفنه وفيها طريق الآلام، كما أشير إلى مغارة في القدس على أنّها موضع الجحيم الذي نزل إليه يسوع بعد موته ليحرر الأنفس البشرية.

وتحتضن القدس دير مار إبراهيم للروم الأرثوذكس، وقد سمّي بهذا الاسم تيمناً بالتقليد المسيحي الذي يقول إنّ أبانا إبراهيم جاء إلى هذه الصخرة يقدّم ابنه إسحاق ذبيحة. ويوجد في الكنيسة مذبح وشجرة زيتون علق الجدي بفروعها. وتوجد بئر عظيمة تحت الدير، كما توجد إلى اليمين كنيسة مار يعقوب للأرمن وكنيسة القديس ميخائيل للأقباط. وإلى يسارها ثلاث كنائس مكرسة للقديس يعقوب والقديس يوحنا والشهداء الأربعين، والدرج الذي إلى اليمين قبل الدخول إلى الكنيسة يؤدي إلى معبد "سيدة الأوجاع" ويقال له أيضاً كنيسة الإفرنج، وهي للآباء الفرنسيسكان الذين يحتفلون فيها بالقداس الإلهي كلّ يوم، وتحت هذه الكنيسة تقوم كنيسة أخرى مكرّسة للقديسة مريم المصرية.

أما الجلجلة فتبدأ عند الدخول إلى كنيسة القيامة حيث نجد في اليمين سلماً يوصل إلى كنيسة الجلجلة على ارتفاع خمسة أمتار عن أرض الكنيسة. وتنقسم إلى كنيستين صغيرتين. الأولى وتدعى كنيسة الصلب، تمّت فيها حسب معتقداتهم المرحلتين العاشرة وهي (تعرية يسوع من ثيابه) والحادية عشرة (صلب يسوع). فوق الهيكل الذي في صدر الكنيسة، ويوجد كذلك حجر الطيب ملاصق لكنيسة الجلجلة يقابله حجر من الجير الأحمر مزين بالشمعدانات والمصابيح. هذا الحجر مقام لذكرى ما ورد في إنجيل يوحنا بعد موت المسيح.

وتضم القدس في جنباتها قبر الخلاص الذي يقوم في منتصف بناء تزينه الشمعدانات الضخمة. "وكان في الموضع الذي صلب فيه بستان، وفي البستان قبر جديد لم يكن قد وضع فيه أحد. وكان القبر قريباً فوضعوا فيه يسوع بسبب تهيئة السبت عند اليهود".

ينقسم البناء من الداخل إلى غرفتين، الغرفة الخارجية عبارة عن دهليز لإعداد الميت ويقال لها كنيسة الملاك. أما المدخل الصغير المغطّى بالرخام فهو الباب الحقيقي للقبر الأصلي والذي تمّ إغلاقه بحجر إثر موت المسيح كما يقول الإنجيل. وفي وسط الدهليز نجد عموداً قصيراً يحمي تحت الزجاج قطعة أصلية من الحجر المستدير الذي سدّ باب القبر. ويوصل إلى القبر باب ضيق. فنجد إلى اليمين مقعداً من الرخام يغطي الصخرة الأصلية التي وضع عليها جسد يسوع من مساء الجمعة وحتّى صباح الفصح.

وتحتضن المدينة المقدسة خورس الروم الأرثوذكس ويقع مقابل القبر المقدس ويحتل الجزء المركزي من البازيليك كلها. وكان في الماضي خورس الآباء القانونيين أيّام الصليبيين. وكذلك كنيسة الأقباط - تقع خلف القبر المقدس في مؤخرته حيث حفر فيه هيكل - وتوجد كنيسة السريان الأرثوذكس- في آخر الرواق مقابل هيكل الأقباط - هنالك ممر ضيق بين العمودين يؤدي إلى قبر محفور في الصخر يعود إلى أيّام المسيح.

بعد هذا الاستعراض لأهمّ الأماكن المسيحية ذات الأهمية الدينية يتضح لنا أسباب تميز القدس بهذه المكانة المرموقة عند المسيحيين،

فهي المكان الذي يحجّون إليه، وتهفو قلوبهم لزيارته والتبرك به. وقد كان للقدس مكانة عظيمة في نفوس المؤمنين من المسيحيين منذ يسوع – عليه السلام – ومن جاء بعده من حملة هموم دعوته.

أماكن مقدَّسة للنصارى في القدس:

الموقع	ملاحظات
كنيسة القيامة	
طريق الآلام	التي تشتمل على المحطات التسع التي تنقل عبرها الصليب
العلية	المكان الذي تناول فيه المسيح ورفقاؤه العشاء الأخير
حديقة الجثمانية	
قبر العذراء المباركة	
جبل الزيتون	
حديقة القبر	يعتبرها كثير من النصارى البروتستانت أنها مكان قبر المسيح
العيزارية	
بيت لحم	وتوجد فيها كنيسة المهد ومغارة الحليب وحقل الرعاة
عين كارم	مسقط رأس يوحنا المعمدان
عدة كنائس	اثنان وثلاثون كنيسة لمختلف الطوائف

القدس في الإسلام:

تحتضن القدس أكثر من ١٩٧ أثراً إسلامياً، تتقسم بين المساجد والقباب والقصور والتكايا والزوايا والمدارس والأسبلة والأبواب... إلخ، وتعود إلى مختلف العصور الإسلامية.

ويُعَدّ من أهم الآثار الإسلامية في القدس المسجد الأقصى والذي هو أولى القبلتين وأحد المساجد الثلاثة الذي تشدُّ إليها رحال المسلمين. حيث ذكره الله -عز وجل- في القرآن الكريم، يقول تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). وفي الجدار الغربي للمسجد الأقصى يوجد مكان حائط البراق حيث ترجّل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين وصل المسجد الأقصى. وفي هذا المكان المقدس موضع الحلقة التي ربط بها البراق. روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله قال: "أتيت بالبراق وهو دابةٌ أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يجعل حافره عند منتهى طرفه"، قال: "فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطتُه بالحلقة التي يربط بها الأنبياء- أي عند باب المسجد – ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة".

ومن الآثار التاريخية المهمّة قبور الأنبياء والمرسلين وأضرحتهم. ففي بيت المقدس وما حوله توجد أضرحة الكثير من الأنبياء والرسل الكرام. فعلى مقربة من الأقصى بمدينة القدس ضريح نبيّ الله المسلم داود – عليه السلام – وبجانبه مسجد كبير كانت تقام فيه الصلوات الخمس قبل وقوعه في يد اليهود وسيطرتهم عليه. وشرقي القدس يوجد مقام النبيّ موسى عليه السلام، وعليه مسجد كبير، وحواليه أبنية وآثار إسلامية من بناء الملك الظاهر بيبرس ومن جاء بعده من ملوك المسلمين وسلاطينهم رحمهم الله.

وفي مقبرة "باب الرحمة" في بيت المقدس توجد قبور جماعة من الصحابة الذين سكنوا القدس وماتوا فيها، ويعرف إلى هذا الزمان من قبورهم –رضي الله عنهم-: قبر "شداد بن أوس" الصحابي عالم بيت المقدس، وقبر"عبادة بن الصامت" أحد نقباء الأنصار وأول قاض مسلم في فلسطين، وهما بجانب السور الشرقي للمسجد الأقصى. وبالإضافة إلى القبور والأضرحة والمساجد فهناك المئات من الزوايا الصوفية والتكايا، فهناك: الخانقاه الصلاحية التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي في القدس والخانقاه الداودارية والخانقاه الفخرية، وزاوية الشيخ بدر الدين الحسيني بظاهر القدس، وفي القدس وحدها أكثر من خمس عشرة زاوية مثل الزاوية الختنية والزاوية الجراحية والزاوية الكبكية، وتضمّ القدس أكثر من ثلاثين مدرسة من المدارس التاريخية الأثرية الإسلامية التي أنشأها ملوك المسلمين وسلاطينهم في مختلف العصور، وتخرّج منها طائفة من العلماء والصالحين مثل: المدرسة المأمونيّة، ومدرسة قايتباي، ومدرسة تنكز، والمدرسة العمرية، المدرسة الأشرفية، والمدرسة المزهرية. وفي القدس توجد مكتبات إسلامية تحتوي على نفائس الكتب الدينية واللغوية والتاريخية منها طائفة من المخطوطات الأثرية في علوم التفسير والحديث والفقه. إنَّ هذه الآثار يتبعها وقفٌ خصِّصَ للكثير منها، وقفه المحسنون الصالحون من المسلمين. وقد وقفوا لها مئات العقارات، والأراضي الزراعية، مشترطين أنْ يصرف ريعها وناتج محصولاتها وأجرة عقاراتها في عمارة تلك المساجد والمعابد والمدارس والأربطة وفي مصالحها حسب شروط الواقفين. وتحتوي سجلات المحاكم الشرعية وبخاصة سجلات محاكم القدس وثائق تلك الوقفيات والقسم الأكبر من هذه أصبح تحت سيطرة اليهود وعبثهم. فتعطّل صرف ريعها في الوجه الشرعي الذي وُقِفتْ عليه.

قائمة بالمواقع الإسلامية الأثرية في فلسطين:

١- المسجد الأقصى
٢- مسجد قبة الصخرة
٣- المسجد الخليلي
٤- مسجد ولي الله محارب
٥- مسجد خان السلطان
٦- مسجد العمري الكبير
٧- مسجد العمري الصغير
٨- مسجد الديسي (النبي داود)
٩- مسجد اليعقوبي
١٠- مسجد الحريري
١١- مسجد القلعة
١٢- مسجد مهد عيسى عليه السلام
١٣- الزاوية الجراحية
١٤- مسجد المنصوري (القلندري)
١٥- مسجد النبي داود
١٦- الزاوية اللؤلؤية
١٧- الزاوية الوفائية
١٨- مسجد النبي، مصلى الخضر
١٩- جامع المغاربة
٢٠- مسجد البراق
٢١- المئذنة الفخرية
٢٢- مسجد سويقة علون
٢٣- مسجد عثمان بن عفان
٢٤- مسجد عمر بن الخطاب
٢٥- مسجد الخانقا (الزاوية)
٢٦- مسجد الحيات الصلاحية
٢٧- مسجد قلاوون
٢٨- مسجد القميري (القميرية)
٢٩- ومقام السيفي
٣٠- مسجد علاء الدين البصيري

٣١- مسجد درغث
٣٢- مسجد الزاوية الأفغانية
٣٣- جامع النساء
٣٤- زاوية الهنود
٣٥- الزاوية الكبكبية
٣٦- الزاوية المهمازية
٣٧- الزاوية القرمية
٣٨ زاوية الشيخ يعقوب العجمي
٣٩- الزاوية النقشبندية
٤٠- حائط البراق
٤١ مقام ومسجد سليمان عليه السلام
٤٢- مئذنة باب الغوانمة
٤٣- مئذنة باب الأسباط
٤٤- مسجد البخارية
٤٥- مسجد الشوربجي
٤٦- مسجد مصعب بن عمير
٤٧- الشيخ لولو
٤٨- المولوية
٤٩- مسجد المئذنة الحمراء
٥٠- الشيخ ريحان
٥١- مسجد ومقام الشيخ مكي
٥٢- القرمي
٥٣- مسجد المثبت
٥٤- مسجد أبي بكر الصديق
٥٥- الزاوية الختنية
٥٦- زاوية الشيخ حيدر
٥٧- مسجد الخانقا الداودرية
٥٨- الزاوية الأدهمية
٥٩- منبر برهان الدين
٦٠- الزاوية الظاهرية
٦١- زاوية ولي الله أبي مدين
٦٢- مقام غياين
٦٣- مئذنة مسجد القلعة
٦٤- مئذنة باب السلسلة

إنّ القدس هي مدينة الديانات السماوية الثلاث وظلّت تتعامل مع الجميع على أساس قاعدة الاعتراف بالآخر، ومبدأ العيش المشترك، وهي الإطار الناظم للاجتماع البشري في القدس، حتى طرق باب فلسطين المشروع الصهيوني الذي اتّخذ موقفاً إقصائياً، لصالح تهويد القدس ليكرّر بذلك التجربة الصليبية، سيئة الذكر والمصير.

أبواب القدس:

لمدينة القدس سبعة أبواب ما زالت مستعملة وأربع أبواب مغلقة.

أولاً- الأبواب المفتوحة وهي:

- باب العمود (باب دمشق - النصر - نابلس):

يقع في منتصف الحائط الشمالي لسور القدس تقريباً ويعود تاريخه إلى عهد السلطان (سليمان القانوني) العثماني وتعلو هذا الباب قوس مستديرة قائمة بين برجين ويؤدي بممر متعرج إلى داخل المدينة، أقيم فوق أنقاض باب يرجع إلى العهد الصليبي، ووجدت أثناء حفريات سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٦٦م بقايا بابين يعود أحدهما إلى زمن الإمبراطور (هادر يانوس) الذي أسس مدينة "إيلياء كامبيتولينا" ما بين سنوات (١٣٣-١٣٧ م) على أنقاض المدينة التي دمرها الإمبراطور طيطوس، أما الثاني هو "هيرودوتس اغريباس" في منتصف القرن الأول الميلادي وتظهر الكتابة فوق باب "هادريانوس" اسم المدينة الجديدة، والباب عبارة عن قوس ضخمة ترتكز على دعامتين من الحجارة القديمة المنحوتة نحتاً ناعماً والمزودة بإطار أنعم نحتاً، وقد أضيف عمود

داخل الباب في أيام الإمبراطور هادريانوس نفسه، ويظهر العمود في خريطة الفسيفساء التي عثر عليها في الكنيسة البيزنطية في "مأدبا" وقد بقى هذا العمود حتى الفتح الإسلامي ولذلك سمى العرب الباب "باب العمود" وكان يدعى من قبل باب دمشق لأنه مخرج القوافل إليها.

- باب الساهرة (باب هيرودوس مادلين):

يقع إلى الجانب الشمالي من سور القدس على بعد نصف كيلو متر شرقي باب العمود، وباب الساهرة بسيط البناء، حيث بني ضمن برج مربع، و يرجع إلى عهد السلطان سليمان العثماني وكذلك كان يعرف عند الغربيين باسم باب هيرودوتس.

- باب الأسباط (الأسود - ستنا مريم - الغور):

وسمي أيضاً بباب القديس اسطفان لدى الغربيين ويقع في الحائط الشرقي ويشبه في الشكل باب الساهرة، ويعود تاريخه أيضاً إلى عهد السلطان سليمان العثماني.

- باب المغاربة:

يقع في الحائط الجنوبي لسور القدس، وهو عبارة عن قوس قائمة ضمن برج مربع، ويعتبر أصغر أبواب القدس.

- باب النبي داود:

عرف لدى الأجانب باسم باب صهيون فهو باب كبير منفرج يؤدى إلى ساحة داخل السور، وقد أُنشئ في عهد السلطان سليمان عندما أعاد بناء سور المدينة.

- باب الخليل (بابا يافا - محراب داوود):

يقع باب الخليل في الحائط الغربي وسمي لدى الأجانب "بباب يافا".

- الباب الجديد:

فتح في الجانب الشمالي للسور على مسافة كيلو متر تقريباً غربي باب العمود وهو حديث العهد يعود إلى أيام زيارة الإمبراطور الألماني (غليوم الثاني) لمدينة القدس عام ١٨٩٨م

ثانيا- الأبواب المغلقة وهي:

- باب الرحمة:

سُمِّي هذا الباب لدى الأجانب بالباب "الذهبي" لبهائه ورونقه ويقع على بعد ٢٠٠ م جنوبي باب الأسباط في الحائط الشرقي للسور ويعود هذا الباب إلى العصر الأموي، وهو باب مزدوج تعلوه قوسان ويؤدي إلى باحة مسقوفة بعقود ترتكز على أقواس قائمة فوق أعمدة كورنثينة ضخمة، وقد أغلق العثمانيون هذا الباب بسبب خرافة سرت بين الناس آنذاك، مألها أن الفرنجة سيعودون ويحتلون مدينة القدس عن طريق هذا الباب، وهو من أجمل أبواب المدينة ويؤدي مباشرة إلى داخل الحرم.

والأبواب الثلاثة المغلقة الأخرى تقع في الحائط الجنوبي من السور قرب الزاوية الجنوبية الشرقية وتؤدي جمعيها إلى داخل الحرم مباشرة، وأولها ابتداء من زاوية السور:

- باب الجنائز: وتعلوه قوس، كان يستخدم لإخراج الجنائز من المسجد الأقصى إلى مقبرة الرحمة المحاذية له.

- الباب المثلث: أو الثلاثي وهو مؤلف من ثلاثة أبواب تعلو كلاً منها قوس، وكان مدخلاً للمصلى المرواني.

- الباب المزدوج: وهو من بابين يعلو كل منهما سور، يطل على دار الخلافة والقصور الأموية التي كانت قائمة جنوب الأقصى.

أنشئت هذه الأبواب الثلاثة في العهد الأموي عندما بنى الخليفة عبد الملك بن مروان قبة الصخرة.




جراح القدس

شعر: علي مرهج

خَفْقُ الفؤاد نداء الروح ذكراها ... ضوءُ المحبةِ في الأحشاء سكناها

أمّ المـدائن آيـاتٌ مكرمـة ... والكـونُ يشـهد أنَّ الله زكّاهـا

تبكـي العروبـةَ والإسـلام مقلتُهـا ... وكبـوةُ الصيـدِ أضناها وأبكاهـا

تنعـي المـروءةَ والإذعـانُ أرقهـا ... من ذا يراها وعين الأهل تنساها

تحنو على المهدِ إكراماً لغايته ... ويُنشِدُ الصبرَ والسلوانَ أقصاها

وتشتكي الغيب فالأوصال مزقها ... أهل الضلالة كم أبلوا بدنياها

هولٌ من الحزن غبنٌ لا يفارقها ... عُهرٌ من التيه من زادوا ببلواها

ستون عامـاً مناكيـدٌ تدنسـها ... والقيـد ينهش يمناهـا ويسـراها

يا عين هلّي جراح القدس نازفة ... فـالبغي هشَّـم أدناهـا وأقصاها

أبلـى وأثّـر بالتهويـد معتمـداً ... نهـج التزلُّـف إملاقـاً وإكراهـا

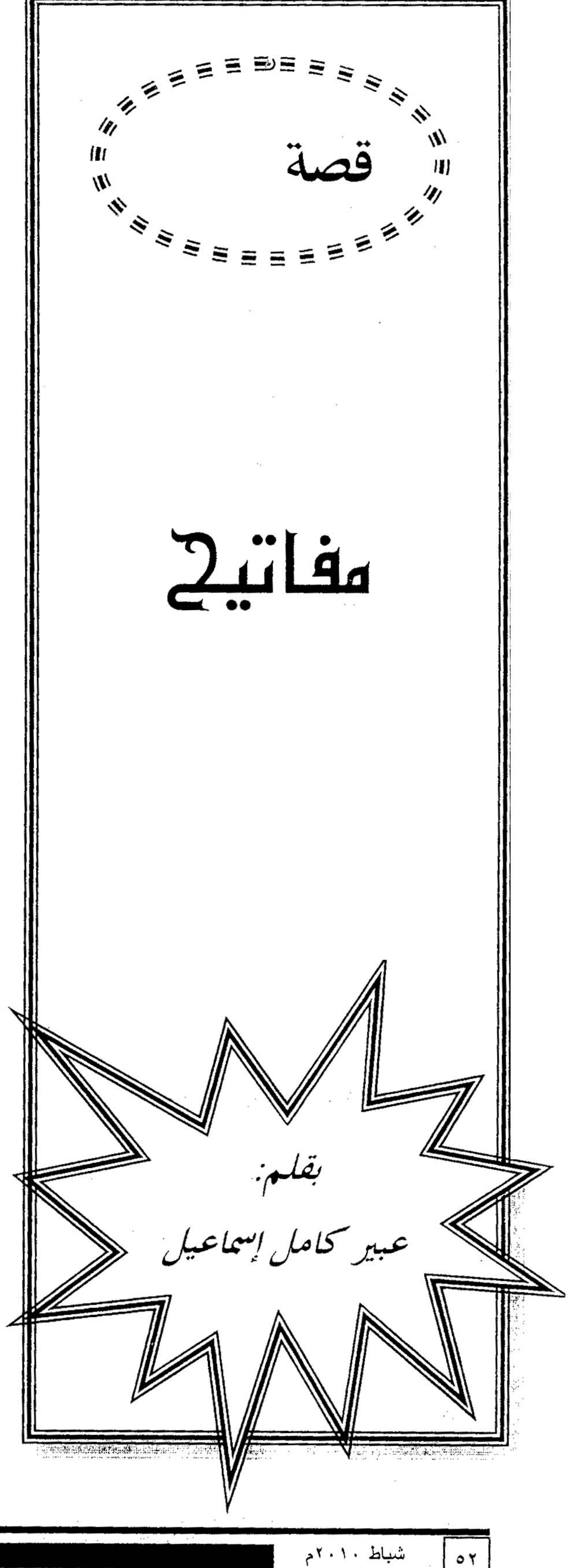
والأهل فيها حرابٌ في صدورهم ... شمُّ الأنوف لباهُمْ من سجاياها

لا بـارك الله في قـوم لهـا نكـروا ... يـوم القيامـة ملقـاهم وملقاهـا

نـار الجحيم وبـالٌ والـردى قـدرٌ ... بئسَ المصيرُ لمن تاه ودساها

أمُّ المـدائن للأديـان حاضـنةٌ ... تأبى الخضوع وعين الله ترعاها



دخلت المترجمة مع الوفد السياحي دكان أبي أسعد ذي الطابع التراثي.

كان الدكان مليئاً بالمفاتيح المصنوعة بمهارة، أحدها من الخشب والآخر من النحاس والثالث من الحديد.

أمسك أحد السائحين بمفتاحٍ قديمٍ، فسقط من يده..

نسي أبو أسعد لباقة استقبال الناس تلقَّف المفتاح شاتماً..

نظر الجميع إليه شرزاً، التفت إلى المترجمة، قال لها بغضبٍ:

– ترجمي لهم:

كان لنا مدينة اسمها القدس، للقدس بيوت، للبيوت أبواب، للأبواب مفاتيح، سبيت المدينة، هُدمت البيوت، خلعت الأبواب، ولم يبق لي إلاّ هذا المفتاح أصنع على شاكلته فيبقيني على قيد الكرامة والأمل.




إلى مدينةِ السّلام

شعر: زياد مصطفى الجزائري

أَيَبْلَــــى الزَّمَـــانُ وَيَفْنَــــى الفَنَـــا
وَيَرْحَـــلُ حُـــزْنٌ وَيَـــأْتي هَنَــــا
وَتَسْــأَمُ مِـــنْ عُمْرِهَـــا الرَّاسِــيَاتُ
وَفِيْــكِ قِــوَامُ الصِّـبَا مَــا انْحَنَــى
شَــــهِدْتِ ولادَةَ هَـــذِي الــــدُّنَى
وَقَبْلَــكِ مَــا اتّخَـــذَتْ مَوْطِنَـــا
وَمِنْــكِ تَــألّقُ نُـــورُ الحُـــروفِ
فَشَّــعَ الرُّقِـــيُّ وَطَـــابَ الجَنَـــى
بَقِيْــتِ عَلَــى الــدّهْرِ دَارَ السَّــلامِ
بِـــرَغْمِ الجِـــرَاحِ وَطُـــولِ العَنَـــا
تُحاصِـــرُكِ الـــذّكرياتُ جُيوشَـــاً
وَتُغْـــرِي القُلُـــوبُ بِــكِ الأَعْيُنَـــا
أَيَــا قُـدْسُ كَـمْ مَعْبَـدٍ فِـي حِمَـاكِ
يُـــذَكِّرُ عَهْـــدَ مَلِيْــكٍ بَنَـــى
وَكَـــمْ مِـــنْ مَسَــارِبَ تَفْضِـــي إلى
مَطَــالِعِ فَجْـــرٍ عَرِيْـــقِ الغِنَـــى
تَطُـــوفُ حَوَالَيْـــكِ للأَنْبِيَـــاءِ
الظّـــلالُ وَللأَتْقِيَـــاءِ المُنَـــى
كَأَنّـــكِ مَعْشُـــوقَةٌ للسَّـــمَاءِ
فَكُـــلُّ مَـــلاكٍ عَلَيْـــكِ انْثَنَـــى







إِلَيْــــكِ رِسَــــالاتُها أُنْزِلَــــتْ
وَمِــنْ قَبْـلُ مَـا شَـهِدَتْ مُؤْمِنَـا

وَبِــــتٍّ بِعيسَــــى وَانْجِيْلِــــهِ
سِـراجَ الـــوِدَادِ وَدَرْبَ الضّــنَا

وَكَــمْ نَــالَ مِنْــهُ قُسَاةُ القُلُـوبِ
وَكَــمْ حَطَّمُــوا لِلهُـدَى أَغْصُــنَا

فَمَــا صَــدَّهُ عَــنْ هُــدَاهُ الأَذَى
ولا عَــادَ عَــنْ حُلمِــهِ مُوهَنَــا

وَكُنْــــتِ لإِسْــــلامِنَا قِبْلَــــةً
نُوَجّــهُ طَوْعَــاً لَهَــا وَجْهَنَــا

بِحُــبٍّ (وَمكّــةُ) بَيْــتٌ حَـرامٌ
وَمَهْــبَطُ وَحْــيٍ وَمَجْلــى سَــنَا

وَمِنْــكِ ارتَقَــى أَحْمَــدٌ للسَّـمَاءِ
وَخَلَّــفَ رَمْــزَاً بِــهِ كَــمْ عَنَــى

بَقِيْــتِ عَلــى الـدَّهْرِ مَطْمَـعَ غَـازٍ
وَلَهْفَــةَ قَلْــبِ مُحِــبٍّ رَنَــا

فَراعِنَــــةٌ ثُــــمَّ فُــرْسٌ وَرومٌ
وَشَــعَبُ رُعَــاةٍ يُبِــيْحُ الخَنَــا

أَتَــى عَــابِراً مِثْــلَ كُــلِّ الغُـزَاةِ
فَلَــمْ يُبْــقِ صَــرْحَاً وَلا أَتْقَنَــا

وَمَــا زَالَ كَنْعَــانُ فِي رَبْعِــهِ
مُقِيْمَــاً يَصُــدُّ القَنَــا بِالقَنَــا

وَيَــأْتِي زَمَــانٌ زَهَــا بِــالعُلُومِ
وَبِــالفِكْرِ كَــمْ جَــاوَزَ المُمْكِنَــا






لِيَرجِعَ قَوْمٌ لِوَهْمٍ شَقِيٍّ
كَأَنَّ بِهِمْ مَرَضاً مُزْمِنَا
يَلُمُّونَ شَمْلَ يَهُودٍ تَلاشَوا
وَذَابُوا بِكُلِّ شُعُوبِ الدُّنى
مَلامِحُ تُنْبِئُ عَنْ أَلْفِ عِرْق
أَتَاكِ كَمَا الدَّاءُ مُسْتَوطِنَا
وَرَاحَ يُفَتِّشُ عَنْ هَيْكَلٍ
وَيَنْبُشُ في خَصْرِكِ المَدْفَنَا
وَعَادَتْ دِيَارُ السَّلامِ التَّلِيْدِ
دِيَارَ العَدَاءِ وَأَرْضَ العَنَا
كَأَنَّكِ يَا قُدْسُ إِنْ تُسْلَبِيْ
وَشَاحَ السَّلامِ يَحِلَّ الفَنَا
بِكُلِّ البِلادِ وَكُلِّ العِبَادِ
وَتَأبَى عُيُونُكِ أَنْ تُسْجَنَا
كَذَا جَاءَ وَعْدٌ بِقُرآنِنَا
بِأَنَّا سَنَقْهَرُ أَعْدَاءَنَا
وَيَرْجِعُ بَعْدَ الغِيَابِ المَسِيْحُ
لِتَحْمِيْ الكَنِيْسَةُ مَسْجِدَنَا
وَتُحمَى (القِيَامَةُ) بِالمُسْلِمِيْنَ
(وَحَظُّ الغَضُوبِ بِأَنْ يُلعَنَا)
فَلا تَيْأَسِي (قُدْسُ) كَمْ عَابِرٍ
مَضَى مِثْلَ وَهْمٍ وَنَحْنُ هُنَا
سَيَرْجِعُ عَهْدُ العُرُوبَةِ فِيْكِ
وَيَنْشُرُ زَيْتُونُكِ الأَغْصُنَا




القدس

عاصمة الثقافة العربية

العاصمة الأبدية

لثقافة المقاومة والصمود

بقلم:
أحمد علي هلال

مقاربة أولى

تنطوي الاحتفالية الرسمية.. وتتقلّص الفعاليات والأنشطة الموازية، لكن القدس في يوميات صراعها المفتوح، مازالت تعيش احتفاليتها بطريقة مختلفة، حيث قناديلها المضاءة تطارد أشباح العتمة، حيث دروبها تكسر ظلال غزاة عابرين، ما المعنى - إذن - من وجودها حارسة لبهائنا الداخلي، ولأرواحنا، وللغتنا، المعنى أن تصبح القدس حقيقة يومية تستبطن حقيقتنا الكلية، وتشكل خطوط دفاعها الذكي عن قيمنا المدكوزة في نسيج حضارتنا وتاريخنا الفاعل، تحضر القدس - إذن - كبديهية تجلو ما نروم من المعنى، وما نذهب إليه لإنتاج وعي بها، يتجدد في كل شوط من أشواط الصراع، ويحمل صيرورتنا لتعانق كونية القدس في تجذرها النهائي، وفي صوغها لهوية راسخة، نقترب من أسئلة القدس الكبرى لأنها مجاز فلسطين في حقيقتها العربية والفلسطينية، وفي ما يؤول إليه مستقبلها.

فتحرير المعنى من احتفالية القدس، هو تفعيل لديمومتها وحضورها المديد في وعينا الفردي/ الجمعي، وفي ذاكرتنا الثقافية العربية،

ولأنها استثناء - القدس - كما ضرورة، نرفعها راية، ونشيداً، وأبجدية جديدة، لا يثلمها الصمت أو النسيان، لأنها بجماع خطاباتنا ورؤيتنا، تمثل صورة مستقبلنا، ستظل بممكنها ومطلقها سادنة الروح واليوميات الآتية، سادنة الثقافة في بعدها التنويري - التحرري، وفي أفعالها الكاملة الموزعة على ثلاثية الماضي والحاضر والمستقبل، هي إذن إستعارتنا الكبرى، وذاكرة أمكنتنا الطليقة، هي طيوف المنامات ونبرات الصحبة والوداد.

فمازلنا ندوّنها، ونؤرّخها جهداً، لا لأنها تستحق دفاعنا فحسب، بل لأنها شاهدة أرواحنا وقيامتنا، يوم تعلو مآذنها بالتكبير، وتقرع أجراس كنائسها، لتعلن البشارة أن غداً آت فنذهب لمستقبلها - مستقبلنا، لندرك أن صورتنا الأخيرة، هناك.

الآن.. هنا.. الآن هناك، حجر غسل بماء الورد يختزن الشرر، يرفع البيوت التي هدمت، يسترجع دفء الأصابع في الأبواب العتيقة، يختزن رعشة الصلوات، ينثر تميمته في وجه شذاذ الآفاق، الملعونين في الأرض، حجر مبارك مازال يخبئ ظل الوجوه، التي شبّه للغازي أنها خرجت ولن تعود، هو يبني البيوت، لمن سيعودون حتماً في زرقة الفجر، إذ لا شيء يوقف زحف الذاكرة لتنهض بحيوات تستحق الحياة، وترتقي لتكون فلسطين كما القدس، كما المدن والبلدات العصيّة على التهويد، أسمائها، وأفعالها، فلنأخذ من المهرجان ما يضيء ليلنا، وما يبسط كفّ الأرض ليخضرّ معنى ذاهب لحتميته، ذاهب لطلاقته.. في أننا ومنذ الآن، وبشغف حكايتنا، نولد من رمادنا، وتسفر لحظتنا عن تاريخ يستمر في سفر مقاوم، لا يستريح على طريق الجلجلة.

فلتقم للروح شواهدها، وما ترثه حينما يعلن المهرجان ارتحاله، لا حدّ لصهيل أرواحنا في مهرجان النار، وانتظار ما يسفر عنه صمت الكلام من رؤيا، تمدّ جذورنا لآفاق جديدة، أن نكتب اليوم، من أجل الغد، أن القدس صحونا وعافية خطابنا، ورعشة الحياة لمفرداتنا، أن القدس قولنا على تخوم استعارتنا البهية، قولنا الممهور بلون أرضنا وحكمة البدء، ليستمر الغناء - النشيد، ضاجّ الوزن، لا يرتبك حرير فتنته، عافية للغة، لينهض فيها المكان، بسيرته النهائية، وتأخذ الذاكرة سيف المحارب.




ليلى القدس..!

شعر: محمد الزينو السلوم

بكـــت ليلـــى فـــأرّقني بكاهـــا
وشــدّ بـــيَ الرحـــالِ إلى حماهـــا
برانـــي الشـــوق لكـــن بعـــد نـــأي
لحقـــت الركـــب، أســـعدني لقاهـــا
وجـــدت القـــدس في حـــال تـــردّت
وقـــد كانـــت تبـــاهي في هناهـــا
تكســـرّ غصـــنها مـــن عصـــف ريـــح
فراحـــت تشـــتكي ممـــن ســـلاها
فـــلا صـــبح أطـــلّ بُعَيْـــدَ ليـــل
ولا قمـــرٌ ولا نجـــم أضـــاها
وتبكـــي مـــن جـــراح نازفـــات
وتنـــدبُ حظهـــا ممـــا عراهـــا
ســـنا الإســـراء والمعـــراج فيهـــا
ونـــور الخلـــق بعـــض مـــن ســـناها
هنـــاك رســـولنا العربـــي صـــلى
وأمّ الأنبيـــاء علـــى ثراهـــا
لأقصـــاها رســـول الله أســـري
بـــه عبـــداً.. لآيـــاتٍ يراهـــا

* * *

أعاصـــمةَ الثقافـــة قـــدسَ عربـــي
وهـــا شـــعراؤنا لبـــوا نـــداها!
صـــواريخٌ قصـــائدهم، صـــهيلٌ
تـــدوّي والحـــروف لهـــا صِـــداها
ولا خيـــل ولا حتـــى غبـــارٌ
وحتـــى الخيـــل لا أحـــدٌ امتطاهـــا
أراكِ، أرى الغيـــوم أظـــن غيثـــا
ولا غيـــثٌ وأعـــرف مـــن بـــداها
يلـــف الحـــزن صـــدرك في امتعـــاض
بزنـــار الأســـى.. يُطفـــي رجاهـــا







وتطـــوي جنحهـــا خـــوف الليـــالي
وجـــنح الليـــل في ظلـــم طواهـــا
غفلنـــا عنـــك حتـــى نلـــت ظلمـــا
وأغمضـــنا العيـــون علـــى أســـاها
فمـــا للقـــدس مـــن جـــرح لجـــرح
كـــأن الحـــظ في ســـهم رماهـــا؟!
تـــراث القـــدس منتهـــك.. لمـــاذا؟
وأقصـــاها تـــردّى مـــن شـــقاها
وتنـــدثر الأمـــاني كيـــف نرضـــى!
وتشـــتعل المعـــاني في رضـــاها
هـــي القـــدس الـــتي تســـمو بهـــاءً
وربّ العـــرش بالحـــب اصـــطفاها
وجلـــى للنهـــار وبعـــد ســـوّى
نفـــوس الخلـــق في أرض طحاهـــا
ضُـــحى الشـــمس اســـتفاض الخـــير فيهـــا
وأغنـــى ليلـــها قمـــرٌ تلاهـــا
رســـول الله أرحـــم مـــن عليهـــا
لكـــل العـــالمين ومـــا تلاهـــا
وعيســـى في المحبـــة لا يجـــارى
دعـــا للســـلم خفـــف مـــن أســـاها
(أبـــا حفـــص) وهـــا قدســـي تنـــادي
فهيـــا قـــم وأبحـــر في مـــداها
فـــأولى القبلـــتين تســـام عســـفا
ولا أحـــد تفـــانى واجتباهـــا!
وثالـــثُ... بعـــد عـــز وانتصـــار
تلـــوذ بصـــمتها ممـــا اعتراهـــا

* * *

ويجتـــاح الأســـى قلـــبي وروحـــي
ومـــا أقســـاه مـــن ظلـــم أتاهـــا!
عصـــاها إن تهـــشّ بهـــا الأعـــادي
فبعـــد النـــأي مغتصـــب عصـــاها







وتشــــعلني الحــــروف أذوب وهجــــاً
وقلــــبي رغــــم جرحــــي مــــا ســــلاها
وفي (القــــاف) القــــوافي حالمــــات
بأجنحــــةٍ، وتســــأل عــــن فتاهــــا
وفي (الــــدال) الــــدموع تســــحّ نجــــوى
كــــأن الجمــــر في البلــــوى كواهــــا
وفي (الســــين) المآســــي ســــوف تطغــــى
إذا مــــا الظلــــم عــــاود وابتلاهــــا
وكيــــف تكــــون عاصــــمة لعــــربٍ
تمــــزقهم أظــــافر مــــن غزاهــــا؟
وغــــزة شــــاهد في كــــل هــــذا
ففكــــر يــــا أخــــي في منتهاهــــا

* * *

هــــي القــــدس الــــتي غنــــت فأغنــــت
وهــــا.. عــــادت تعبّــــر عــــن رضــــاها
كــــأن الليــــل زارتــــه نجــــومٌ
فزادتــــه ائتلاقــــاً في ضــــياها
مرايــــا العــــزّ كــــم عكســــت سماهــــا؟
وقــــوس النصــــر كــــم أبهــــى مســــاها؟
فبُشــــرى الــــروحِ زفتهــــا إلينــــا
فراشــــاتٌ تُحــــوّم في رباهــــا
صــــبايا القــــدس يقطفــــن الأمــــاني
وورد الــــروح يزهــــو مــــن صــــبا هــــا
وأطفــــال بهــــا يرضــــعن منهــــا
حليــــب الحلــــم ينبــــع مــــن ثراهــــا
وهــــا صــــبح أضــــاء القــــدس نجــــوى
وهدهــــدها لتســــبح في هــــداها
بغــــزة قــــاوم الثُّــــوار حتــــى
أتانــــا النصــــر، زلزلنــــا عــــداهاٍ
بــــدت للعــــين في العليــــاء قوســــا
يقوزحهــــا ضــــياءٌ في سماهــــا
كــــأنّ الــــورد فــــتّح مــــن نــــداها
وعطــــر الــــورد طيّبــــه شــــذاها







ملائكــــــة الســـــماء تطـــوف فيهـــــا
وتســــعى ثـــــمّ تغنـــــى في لقاهـــــا
سمـــــاوات العـــــلا انكشــــفت عليهــــا
وأقمـــــارُ الــــدجى لبّـــت نـــــداها
صـــموداً يـــا حمـــاة القــدس أنــتم
أبــــاة الضـــيم فلتحمـــوا ثراهــــا
عـــــدوّ الله لم يجـــــنح لســـــلم
لمـــاذا نحـــن؟! فلنقضــــي فــــداها
تَثعْلــب كـــي يصـــيد (الحـــرّ) لـــيلاً
تحربــــى كلمـــــا خطـــــر أتاهـــــا
خيـــول العـــرْب تصـــهل دون جـــدوى
ألا مَـــــن يرتجــــى.. أو مَـــــن فـــداها؟
وفرســــان تعـــاني مـــن همـــوم
كأرملــــة تـــــأذّى مـــــن ضـــناها
تلـــوذ بصــــمت أيـــــام تتالـــت
يكسّـــــر صــــمتها صـــوتٌ تنـــاهى
وأمـــــة يعـــرب آلـــت لضــــعفٍ
وأســـأل يـــا تـــرى مـــاذا دهاهـــا؟
بغـــير الســـيف لا ترجـــى حقـــوقٌ
هـــو التـــاريخ أغنيـــه انتباهـــا
وقــــدسُ الله تزهــــو في هــــداها
إلـــه العـــرش عطفـــاً قـــد هـــداها
إلهـــي أمطـــر الأعـــداء نـــاراً
شـــواظاً كـــي تحـــرّق في لظاهـــا
وأغـــدق مـــن عطائـــك يـــا إلهـــي
عســـاها تبصـــر النجـــوى عســـاها
تنـــادي القـــدس معتصـــماه لكـــن
يضـــيع الصـــوت هـــل تاهــت وتاهـــا!
فراحـــت تـــدفع الأشـــرار عنهـــا
وتقضــــي بالـــذي يُرضـــي هواهـــا
هـــي القـــدس الـــتي تـــأبى وتـــأبى
وبعـــد الصـــبر تلقـــى مبتغاهـــا

* * *






ودوّى صــــوته ومضــــى يضــــحّي
لينقــــذها ويســــكن في علاهــــا
فــــدائي توضّــــأ في دمــــاه
وأرخــــص روحــــه مــــن مبتــــداها
يجلجــــل صــــوته في كــــل شــــبرٍ
مــــن الأرض الــــتي حملــــت ضــــناها
شــــهيد الحــــق أبشــــر في خلــــودٍ
بجنــــات النعــــيم ومــــا وراهــــا
بحطــــين انــــدفعنا مثــــل ســــيلٍ
ولــــولا النصــــر لانفصــــمت عراهــــا
وفي اليرمــــوك أطبقنــــا علــــيهم
بجــــنح الليــــل حقّقنــــا رجاهــــا
وطــــارق أحــــرق الســــفن انتصــــاراً
لينقــــذ جنــــده ممــــا تمــــاهى
ومهمــــا آلَ قــــاوم لا تســــاوم
وضــــحّي بــــالنفيس وجُــــدْ فــــداها
سينكشــــف الظــــلام بُعيْــــد ليــــلٍ
فصــــبراً.. إنــــه الصــــبر ابتلاهــــا
صــــلاح الــــدين هيّــــا قــــم أغثنــــا
بنصــــرٍ كــــي تُكحّــــلَ مقلتاهــــا

*　*　*

ويــــأتي الصــــوت مــــن بعــــد انتظــــارٍ
ينــــادي العــــربَ (حــــيِّ علــــى نــــداها)
ونلمــــح فارســــاً وصــــهيل خيــــلٍ
وتفــــرح أمــــتي.. (نصــــرٌ) أتاهــــا
صــــلاح الــــدين عــــاد، وهــــا خيــــولٌ
وحطــــين ابتــــدت، هــــا مــــن رآهــــا






خلف أسوار البرتقال كانت أم حمدان تقطن، وتعتصر فيتامين وجعها من قشور نضالها.

كنت أقطف من كلماتي بعض السطور لأملأ سلال القصة بفاكهة طازجة للكتابة تليق بامرأة عظيمة تحيك سوار كبريائها وعزة وطنها، لتقدمهما حلية عرس مؤجل لفلسطين الأبية..

"أم حمدان".. ومن لا يعرف ذاك الوجه الدائري الذي غمرته منحنيات الحزن وأقواس الوجع، وملأت تجاعيده مفترقات طرق العمر الباكي..

كانت عيناها ذات حجم كاف ليليق بالحزن الكبير الذي استأجر غرفة في بناء جفنيها بعقد إيجار أبدي..

كانت أهدابها تكاثف من غيوم البكاء آخر قطرة ألم ووجع لتعتصرها وتسقطها دمعة حلم أخيرة لنوم يقظ، لا يغفو على سرير الليل الدامي..

أم حمدان.. امراة عمرها يضاهي الأرقام.

فعندما يكون الأمر يتعلق بتاريخ امرأة كهذه تسقط لغة الأرقام في كراسات الأيام، وتبدأ السطور تحكي وتبوح لبياض أوراق الجهاد قصة الأم الامرأة.. والأم الوطن أيضاً.

بدأ الحصار منذ بضعة شهور.. وأم حمدان صامدة، فقد كان لديها سبع فلذات كبدهم سلفاً ودائع الرحمن قد خبأهم الله عندها كأمانة..

واليوم احتاج تراب غزة لشربة دم زكيّ طاهر من خوابي شرايين أولئك الشباب الطاهرة المعتقة بعشق الوطن..

لم يكن الوقت.. صيفاً، ولم تتضح شقوق الأرض من شدة الحر وقساوة وجه الشمس حينها، ولكن كل ما في الأمر أن الموسم شتاءً والميلاد المجيد على الأبواب.. ولكن الثلج أبى أن يهطل ببياضه المعتاد فقد أخذ أربع شباب من ودائع أم حمدان ليمزج بدمائهم كرات الثلج البيضاء ويهطل رصاصاً على قلوب الغزاة.. فيصبح الشتاء مميزاً والثلج أجمل.

والميلاد المجيد سيقرع أجراس كنائس فتية صُلبوا على خشبة الشتاء لينزفوا رصاص الدماء ويسقوا تراب غزة.